

## هارون: مجنون؟ أم رشيد؟

هل هو الخليفة العباسي الذهبي؟  
أم هو المجنون الذي قتل شقيقته وأولادها  
وصديقه المقرب وأهم رجال دولته؟.

- آل سعود و عبد الوهاب: القبيلة المرتدة + مسيلمة  
الكذاب = معادلة بريطانية لحكم جاهلي بديل عن  
الإسلام.

- الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يتنازل لبيزنطة  
عن نصف خراج الأندلس و أرمينيا وقبرص.

- جزية يدفعها الخليفة لمدة عشر سنوات لإمبراطور  
بيزنطة.

- بدون إقامة حقيقية للدين (بالعدالة والمساوة) فإن  
الغزو يكون مجرد عدوان. والفتوحات مجرد استعمار  
مناقق. والحاكم شيطان في ثياب الناسكين.

بقلم:

مصطفى حامد

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه

مقدمة الكتاب:

هيئة الدفاع عن الشيطان

قالوا عن البغيّ مرجانة أنها ابنة يزيد جرد امبراطور فارس

ونسوا إن يقولوا عن مديرة الخلافة العباسية ثمل القهرمانه انها ابنة يوليوس قيصر!!

الأبحاث السلفية للدفاع عن الأشخاص والأنظمة الذين أسسوا لانحراف الحكم الإسلامي نحو الاستبداد الوراثي والاستئثار بأموال المسلمين لصالح الحاكم مطلق الصلاحية وإقامة النظام الملحد الذي وضع مواصفاته "الخليفة الأموي" يزيد .

وذلك كما قلنا لان تلك الجرائم مازالت مستمرة والأنظمة مستمرة علي نفس الفلسفة وإن بأشكال تناسب هذا العصر .

فمن الأساسيات عندهم ، إما التكتّم على الحقيقة وإخفائها تماما أو إظهار جزء وإخفاء آخر وإعطاء تبريرات لوقوع الجريمة تعفي المجرم من المسؤولية خاصة إذا كان هذا المجرم من الحكام الكبار المتأخرين، أو من مؤسس منهج الخروج عن شرائع الإسلام في الحكم، بل الخروج عن الإسلام نفسه كما اوضحت أقوالهم وأعمالهم.

فلا بد أن تظهر بعض الحقائق رغم كل محاولات التمويه والإخفاء وترويج الأكاذيب وإرهاب الخصوم فكريا وماديا. فيدافعون عن جرائم يزيد. على أن المسؤول عنها ليس يزيد نفسه ولكن المسئول هم مساعدوه : والي الكوفة (عبيدالله ابن زياد بن أبي سفيان) ابن عم الخليفة من الزنا. وقائد الجيش (عمر بن سعد بن أبي وقاص) الذي تمادي في التنفيذ وزاد في الأوامر يقولون ذلك عن حادث كان في غاية الخطورة والحساسية من وقته وإلي وقتنا الحالي وزاد محلل آخر في الفلسفة، قائلًا أن أجهزة الإتصال الحديثة لم تكن موجودة في ذلك الوقت فكثرت الإشاعات، رغم أن البريد لم يكن ينقطع لحظة واحدة على ظهور الخيل ما بين الشام ومواقع الأحداث في العراق والمدينة المنورة لأن الدولة الأموية كانت مهددة بالسقوط بالفعل وكانت قد حشدت كل إمكانياتها للفوز في معركة مصير وحسم الأحداث لصالحها. وزودت القادة الكبار في العراق والحجاز، بأوامر تفصيلية، لا مجال فيها لإجتهد شخصي.

يتكلمون عن قتل الصحابة في المدينة والمسجد النبوي وكأنه شيء بسيط حدث بالمصادفة وكأن قتل المسلم البرئ يعتبر شيئًا عاديًا. أو الإعتداء على أعراض المسلمين جريمة يمكن التجاوز عنها إلى أن تنسى مع مرور الوقت وتصبح مجرد بحث تاريخي، لحدث غير مؤكد وحوله خلافات مؤسفة لا يترتب عليها حكم شرعي .. هكذا ببساطة!!

قال أحد مدافعي الطواغيت: ثبوت استباحة الأعراس في واقعة الحرة ، أو عدم ثبوتها بحث تاريخي ، لا يترتب عليه أمر شرعي!!.

وهكذا يصبح التاريخ معفي من الأحكام الشرعية وما حدث فيه قد مضى وانتهي ولا شأن لنا به. وعليه فإن جزء كبير من القرآن الكريم هو مجرد أبحاث تاريخية (لم تثبت بالبحث العلمي كما يقول البعض) وبالتالي وحسب نفس المنطق لا اعتبار للأحكام الشرعية التي ترتبت عليها في القرآن الكريم، حول مصائر الأمم السابقة وهكذا ألغوا بمهارة صلاحية معظم آيات القرآن الكريم.

ولكن إذا كان الجاني من مذهب مخالف لتغيّر الأمر رأساً علي عقب فما زالوا يدقون طبول الثأر ويحكمون بتكفير ابن العلقمي وجميع الشيعة إلي قيام الساعة بسب تورطه المزعوم في احتلال التاتار بغداد.

يتورعون عن تجريم الإعتداء على المسجد النبوي واستباحة أعراس النساء في المدينة المنورة بينما لا يتورعون عن تكفير شخص يقول أن اسمه عبد النبي لأن ذلك شرك!!.

ويحتج أحدهم أن عميد، المذهب السلفي المَلْكي "ابن تيمية" صاحب المواقف البطولية أمام التاتار (بالسجود وتقبيل الأرض مع وفد من علماء دمشق أمام الأمير التتري على بلاد الشام. ودمشق التي عصفت بها المنكرات تحت الحكم التتري وأمام أعين نفس الفريق الساجد على طريقة أحفادهم ممن سجدوا أمام مقابر اليهود في معسكر اعتقال بولندي تلك الركعات الخاشعات أمام مقابر اليهود تحت أنظار كبار الحاخامات أسفرت عن تولية عميد المشهد الدكتور محمد العيسى الذي عينته الصهيونية العالمية رئيساً لمنظمة التعاون الإسلامي. ولكنه قد يحصل في سجده التالية أمام مقابر يهود معسكر أوشفيتز على منصب شيخ الإسلام. وتطبع له مجلدات الإفتاء السلفية، ليصبح نظيراً لشيخ الإسلام بن تيمية.

( يناير 2023 ألغيت زيارة الحج إلى مهرجان الهولوكوست السنوي بسبب تطرف سكان غزة واعتدائهم على الجيش الإسرائيلي الذي يهاجم قطاع غزة ليصنع هولوكوست لأسراه الذين يسميهم "مختطفين" أي ضحايا إرهاب فلسطيني. الدكتور العيسى وصفه إعلام الجيش الإسرائيلي أنه يمثل "الإسلام الحقيقي"!!). أو ما يسميه البعض التيار الماسوني الإسلامي. والتعرف عليهم أصبح سهلاً بسبب موقفهم من الإبادة التي يتعرض لها الفلسطينيون. فقد تبخر فجأة كل ما كان ينتسب إلى السلفية، خاصة فرعها "الجهادي" الذي وقت الجهاد مع إسرائيل لبسَ طاقة الإخفاء، واختفى عن الأنظار. مكررين ضمن أذكار الصباح والمساء دعاء يقول: اللهم أهلك الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين. فاليهود ظالمون وكذلك كل من يقاتلهم من المسلمين.

من الآيات الكبرى التي كشفتها العملية الجهادية الفلسطينية في 7 أكتوبر 2023 هي تجلّي فشل وسقوط الديمقراطية الغربية والوهابية الجهادية معا وفي وقت واحد.

ابن كثير وزير الطغاة الأيوبيين في دمشق. وهو مؤرخ وصاحب تفسير، و أحد وكبار مساعدي الظلمة في العصر الأيوبي.

كما سيأتي ذكره وغيرهم مثل ابن حجر لم يستنكروا ليس مجزرة غزة بل نظيرتها القديمة في موقعة الحرة في المدينة المنورة وفي كربلاء حيث قتل البيزيديون سيد شباب أهل الجنة. الحسين حفيد رسول الإسلام الذي غادره العرب أفواجا كما دخلوه أفواجا.

صمت هؤلاء الشياطين الخُرس الساكتين عن الحق، لا يجعل تلك الجرائم شرعية جائزة، يمكن التجاوز عنها (مع الكراهة!!). فكان لذلك الموقف المناق والمراوغ اثرا مدمرا وأنهارا من الدماء سالت في بلاد

المسلمين كما سيأتي معنا لاحقاً. وتكررت مذبحة الحرة عدة مرات في أماكن عديدة منها الشام ومصر، في تاريخ المسلمين وقبلها العلماء كعمل مقبول سبقنا به السلف الأموي الطالح.

فهل أن قول فقهاء السلاطين هو أقوى من قول الله ورسوله. لهذا استخدم الحكام الطغاة أمثال هؤلاء الشخصيات العلمية المزيفة لتبرير جرائم الحكام وجعلها شرعية أو جائزة وربما اجتهاد يثاب فاعله.

ويقول آخر: ان ما يقال عن الاعتداء علي أعراض النساء في المدينة هو "افتراءات أهل البدع الذين يبغضون معاوية وأبنة يزيد". وكان المسألة شخصية وتنافس علي الحكم فالذي يبغض شخص في منصب الحاكم يبغض أعماله وهذا جائز ولم يحتج عليه أحد من الخلفاء الراشدين، إذ قال أحد المسلمين للخليفة عمر ابن الخطاب: اني أكرهك. فسأله عمر، وهل منعت عنك شيء من أعطيتك ؟ فأجاب الرجل كلا ، فقال عمر: إذهب فإنما يبكي علي الحب النساء .

ومشهور عن خطابات الشيخين عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهما أنهما طلبا من المسلمين عندما توليا الحكم ان يقدموا لهما المساعدة إذا كان عملهم صالحا أو يقوّمون أخطائهم إذا وقعوا في الخطأ.

قال أحد المسلمين للخليفة عمر: لو علمنا فيك اعوجاجا لقوّمناه بسيوفنا .

فقال عمر رضي الله عنه : أحمد الله أن في أمة محمد من يقوّم اعوجاج عمر بسيفه فلم يتكلم أحد عن أهل البدع ولا كراهية شخصية كما يقول محور الدفاع عن الشيطان.

لم يقف الأمر عند مجرد طغيان ولكنه وصل إلي درجة الكفر البوّاح والا ماذا يقول من أسماهم السلفيون بالعلماء المحققين من أمثال ابن تميميه وابن كثير الذين سكتوا عن طريقة بيعة يزيد التي كانت تحت تهديد السيوف و لم يستنكروا العدوان علي أعراض النساء وقتل الصحابة في المسجد النبوي. وصيغة البيعة التي تجعل الخليفة رباً يمتلك رقاب العباد بلا التزام منه بقرآن أو سنة.

وماذ عن يزيد وقائدة مسلم بن عقبة المري الذي كان يأخذ البيعة بالسيف من الناس علي أن يبايعوا يزيد ابن معاوية علي أنهم عبيد له، إن شاء باع وأن شاء أعتق ، وذكر له بعضهم البيعة علي حكم القران وسنة رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فأمر بقتله، فضرب عنقه.

أن بيعة يزيد ترفض حكم القرآن وسنة رسول الله. وتلزم المسلم أن يُقرّ بأنه عبد ليزيد وملك يمينه. فأبي النصوص الشرعية تجيز ذلك؟. وما حكم الشرع في ذلك. أم ان ذلك المسكين المسمى "عبد النبي" هو فقط الكافر بينما الملايين ممن أقروا بعبوديتهم ليزيد جميعهم من الموحدين؟؟. وان من يلمس مقام النبي كافر ومن يلمس حذاء مندوب هولوكو هو شيخ الإسلام. ومن يَنكَب علي وجهه ساجدا علي تربة يهود الهولوكوست هو مثال الإسلام الحقيقي ويمثل الأمة الإسلامية ويتراأس أكبر منظماتها الدولية "للتعاون الإسلامي"!!.

وهل أراء خدام السلاطين أمثال ابن تيميه وابن الأثير الذين لم يستنكروا جرائم يزيد بل برروا تلك الجرائم بشكل غير مباشر بأن أهل المدينة قد نقضوا البيعة وقد تم تحذيرهم ولم يستجيبوا وتقول هيئة الدفاع عن الطواغيت أن عدم ثبوت استباحة الأعراض لم يهون من شناعة وفظائع الجرائم التي شنّها جيش يزيد وذلك علي اعتبار أن استباحة الأعراض كان غير ثابت و مجرد تشنيع من أهل البدع الذين يبغضون معاوية(رضي الله عنه) ما حدث في معركة كربلاء الذي قتل فيها الحسين رضي الله عنه مع سبعين من أصحابه وأهل بيته وقالوا أنه دخل في معركة غير متكافئة وتجاهل نصائح شخصيات معتبرة مثل عبد الله ابن عباس

ومحمد ابن علي ابن ابي طالب أخو الحسين وأصر على المسير حتي لا تستقر الردة ويكتسب الانحراف الذي يأسسه بنو أمية الشرعية بين المسلمين لإن الحسين حضر ولم يعترض عليه .

فأصر على الاعتراض ورفض البيعة، لعدم أهلية يزيد وإكراهه الناس على البيعة بلا أي سند شرعي .

الحسين كان هو الخليفة الشرعي وقت معركة كربلاء عند الذين قبلوا بولاية علي ابن ابي طالب والتي أعلنها الرسول(صلي الله وسلم) في حجة الوداع وأن يكون بعد عليّ أحد عشر أماما من أبنائه حكاما معينين بحكم الله تعالي ومنصوص عليهم بالإسم .

وكما ذكرنا فإن المسلمين في أغلبهم انصرفوا عن ذلك الحُكْم لأسباب متنوعة(عجز مفاجيء في العثور على معنى متفق عليه لمصطلح "للولاية" التي قد تعنى مجرد الصداقة. وبذلك يكون معنى الحديث الشهير هكذا: (من كنت صديقه فهذا علي صديقه. اللهم صادق من صادق وعاد من عادة وانصر من نصره واخذل من خذله. وأدِرْ معه الحق حث دار). وبهذا يتسق الأمر وتلتئم الجماعة على فهم موجود للسنة فكان مصداقا لمعنى "أهل السنة والجماعة" أى توحد الفهم للسنة فتوحدت صفوف جماعة المسلمين. ولكن ما تلى من أحداث أثبت أن هذا الوهم الجميل لم يستمر طويلا. فالصراع الحقيقي حول فهم الدين ورسالته كان قد بدأ وقتها ومازال مستمرا حتى اليوم.

طبقاً لمبدأ الولاية (الحاكم المعين بنص ديني من الرسول) فإن الحسين هو الخليفة الثالث بعد اغتيال شقيقة الحسن ووالده علي بن أبي طالب.

فمن الشخص الذى وضعه بنو أمية ليواجه الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، ومعه جيش قوامه ثلاثون ألفا؟؟. لقد وضعوا الدعيّ(ابن زنا) عبيد الله ابن زياد(وهو دعى آخر ناتج عن عملية زنا جاهلى قام بها الجد الأموى المؤسس أبا سفيان بن حرب، طالب الأمويون الحسين بتطبيق شروط يزيد بأن يستسلم ويبيعه تحت التهديد، علي نفس الشروط التي ذكرناها وهي العبودية ليزيد ان شاء باع وان شاء أعتق وليس هناك إلتزام بتطبيق قرآن أو سنة وهو الشرط المتمم لبيعه يزيد. وأن الرفض معناه القتل للحسين ولجميع من معه .

فقام الحسين يخطب في رجاله قائلا: أن الدعي ابن الدعي قد وضعنا بين ركيذتين إما السِّلَه (الموت) وإما الذلَّة وهيئات منا الذلَّة.

فصارت هذه الكلمات شعاراً لإتباع الحسين حتي اليوم. ذلك هو الحسين ابن علي فمن هو عبيد الله ابن زياد.

زينب شقيقة الحسين رضى الله عنهما كانت تخاطب بن زياد قائلة: ويحك يا بن مرجانة والله لن تميت دُكْرنا .

فمرجانة أم عبيد الله ذلك الحاكم الباطش المخيف كانت بغيّ في مكة. وهى جارية كان أبوها ضابط فارسى.(يقول اليزيديون المتأخرون أنها كانت ابنة يزدجرد إمبراطور بلاد فارس!!).

## بنات يزجرد تزوجن أبناء الخلفاء

كان للملك الفارسي يزجرد ثلاث بنات أسرن في الحرب وأرسلن إلي المدينة المنورة .

فتزوجت أحدهن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) والثانية تزوجت محمد ابن ابي بكر رضي الله عنه) وتزوجت الثالثة بالحسين ابن علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه) وانجبت له الإمام السَّجَّاد . ولم يتكلم أحد من المصادر غير الطاغوتية عن أن مرجانة كانت واحدة من بنات يزجرد سوي فريق الدفاع عن الشيطان الذي أراد الشوشرة علي أبناء الخلفاء الراشدين لحماية الأدياء اولاد الحرام الذين قتلوا الحسين، والصحابة وانتهكوا مدينة رسول الله .

كما كان (زياد بن أبيه) الذي أصبح زياد بن أبي سفيان مولودا غير شرعي لإحدى صاحبات الرايات (بَغِيّ) تدعى سُمَيَّةَ ألحقه الخليفة معاوية بنسبه وادّعى بنوّه لأبي سفيان.

فكان من المتعارف عليه - في الجاهلية - أن يتبني المولود أحد زبائن تلك المرأة البَغِيّ وذلك بلا اعتراض إذا اختارته الأم ، وكان من بينهم أبو سفيان وعندما أستقر الأمر لمعاوية وأصبح خليفة للمسلمين في الشام أعلن أن زياد أخيه وألحقه بنسبه فاصبح يسمى زياد بن أبي سفيان أي عمّا (بالزنا) لخليفة المسلمين يزيد بن أبي سفيان. وذلك مخالف لنص الآية الكريمة: ( ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) وللحديث الشريف (الولد للفراش وللداعر الحجر). إلا أن الخليفة كان قويا بما فيه الكفاية لإقناع المعارضين بالصمت والتجاوز عن المسألة ويبدو أن زياد الأخ بالتبني للخليفة معاوية، قد كرر نفس المسألة مع عبيد الله فألحقه بنسبه. لهذا وصفه الحسين رضي الله عنه بأنه (الدعيّ ابن الدعيّ) . فيقال لزياد وعبيد الله أنهما أدياء أي ملحقون بالأب عن طريق الإدعاء وليس بالنسب الحقيقي.

عبيد الله بن زياد، الدعي ابن الدعي، هو الذي تحكّم بمصير الحسين وآل بيته وقتل الجميع ومزق أجسادهم وتركهم عرايا ممزقين فوق رمال الصحراء، وحمل النساء والأطفال إلي يزيد في الشام فوق إبل عجفاء وبلا ساتر يقي من الشمس وأبصار الناس.

وكان منهم زينب حفيدة الرسول (صليالله عليه وسلم) وعدد من بنات الحسين. ولأن عبيد الله ابن زياد هو ابن عم يزيد بالادعاء ، لهذا تمتع بقوة كبيرة في أي مكان تولى فيه منصب وكان يتعامل بجبروت وتعالى بدافع شعوره بالدونية فيحاول تعويض ذلك بالعنف وسفك الدماء .

كان ابن زياد شخصية محورية في أحداث كربلاء كما أنه قاتل تحت قيادة مسلم بن عقبة في موقعة الحرّة بالمدينة .

يقول فريق الدفاع عن الطاغوت أن حادثة مقتل الخليفة عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) ومقتل الحسين (رضي الله عنه) كانت من أكثر المصائب التي أصابت الإسلام في وقت مبكر وتسببت في افتراق كلمة المسلمين وحدوث الانشقاق الذي مازال ساريا حتي الآن بقصد يبين أتباع مدرسة يزيد التي حكمت منذ ذلك الوقت وحتى الآن وبين مدرسة علي ابن ابي طالب التي مازالت تحت التضييق والمطاردة المادية والمعنوية حتي اليوم.

ولكن هناك فروق جوهرية بين الحادثتين .

الفرق الأول: هو ان مقتل عثمان (رضي الله عنه) كان حادثا وقع أثناء فوضى واضطراب بين سكان المدينة والوفود التي جاءت من خارجها لمقابلة الخليفة ومناقشته في مطالبهم.

و مقتل الحسين كان في معركة عسكرية مخطط لها وحشدت لها الدولة أقصى طاقتها ، ووضعت ثلاثين الف من جيشها في مقابل سبعمئة من أنصار الحسين.

ثانيا: أن العرض الذي تقدم به ابن مرجانة للحسين كان معروفا أنه سوف يرفض بالتأكيد.

وإنما تقدم به فقط رفعا للعتب فمن غير المعقول أن يقبل الحسين أن يكون عبداً ليزيد ابن أبي سفيان أو ان تكون البيعة على غير كتاب الله وسنة رسوله .

أنها كانت عملية إصرار على قتل الحسين وهذا قرار لا يمكن أن يتخذه غير الخليفة يزيد شخصيا ولا يمكن أن يقوم بتنفيذه غير شخص لا دين له ولا ضمير ولا يخشي غير ابن عمه يزيد. كما أن قرار قطع رؤوس الشهداء وتعليقها على الرماح إلى دمشق لم يكن مجرد اجتهاد من دعي بل قرار سيادي من خليفة شرعي للمسلمين نفذة بكل دقة وسعادة، شأن كل الأدعياء (أولاد الحرام) ابن عمه الدعي عبید الله بن زياد. معاوية رضي الله عنه كان بعيد النظر عندما جازف بالحقاق زياد بنفسه، ليجهز يدا غير أموية تخوض مباشرة في دماء الطالبين بلا تردد فاختر زياد الذي أختار دعيا آخر ألحقة بنسبه الرفيع هو ابنه الدعي عبید الله، قاتل الحسين وقاطع رؤوس أصحاب الحسين. وبقيت أمية بعيدة عن مطالب ثار الطالبين. وبهذا جنبت حكمة معاوية رضي الله عنه حدوث فتنة بين المسلمين.

يتم التعقيم دوما علي الجذور الاجتماعية وتأثيرها النفسي علي ابن مرجانة كشخص محتقر إجتماعيا ومدين بكل شيء لآل ابي سفيان الذين تبنوه وألحقوه بنسبهم الرفيع.

مدرسة الدفاع عن الطواغيت الأموية عند الكلام عن عبید الله بن زياد والي الكوفة وقت مصرع الحسين، لا يذكرون أن أمه مرجانة كانت بغيًا وأن أباه زياد سافك الدماء المحرمة كان محتقر إجتماعيا رغم انه تولى أحيانا وظائف هامة. ولكن العرب كانوا يُقيّمون الشخص بنسبه قبل وظيفته.

\*\*\*

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه

## هارون و البرامكة

البرامكة أسرة فارسية أرستقراطية، موطنها مدينة بلخ التي تقع الآن في أفغانستان. وكانوا من المجوس (عبدة النار) وكان زعيم هذه الأسرة ومؤسسها وعميدها (خالد بن برمك) الذي ولد سنة 90 هـ في عصر الأمويين. وكان أحد السيوف الفارسية التي قامت عليها دولة العباسيين حيث شارك في التنظيمات السرية التي أقامها العباسيون في خراسان تحت قيادة أبو مسلم الخراساني للقضاء على الدولة الأموية وبعد قيام الدولة العباسية، تولى خالد الوزارة في عهد (السفاح) أول الخلفاء العباسيين واستمر في عهد أبو جعفر المنصور (ثاني الخلفاء العباسيين) الذي ولّاه على الموصل وأذربيجان كما ولي ابنه (يحيى) على أرمينية , وعندما تولى المهدي (ثالث الخلفاء العباسيين) عهد إليه بتربية ابنه (الرشيد).

وعند وفاة المهدي وتولى ابنه الهادي الحكم أراد الهادي أن يخلع أخيه هارون من ولاية العهد وأن يحل ابنه محله ولكن (يحيى بن خالد البرمكي) نصح الهادي بعدم الإقدام على هذا الفعل ... وبذلك حافظ على

عرش الرشيد. ومع ذلك لم يشفع له هذا الفعل الكريم عند الرشيد ولم يرحم شيخوخته عندما قرر العصف بالبرامكة والقضاء عليهم.

استمر الهادي في الحكم مدة عام واحد وبضعة شهور بسبب الخلاف المستمر بينه وبين أمه الخيزران التي كانت امرأة متسلطة استبدت بأمور الدولة طوال حكم **إبنها الهادي كما كانت عليه أيام زوجها المهدي**، لدرجة أنها كانت تستدعى الوزراء والقادة وتصدر اليهم الأوامر والنواهي دون مراعاة لسلطة ابنها الجالس على العرش. حتى استفزت الهادي فأرسل اليها يقول:

"والله لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصتي أو خدمني لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ... ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك كل يوم؟ اما لك مغزل يشغلك ؟ أو مُصَحِّف يُدْكَرِكْ؟ أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك ما فتحت بابك لملي أو لذمي".

لم يفلح التهديد فأرسل لها بطعام مسموم فعلمت بأمره فلم تأكله وعزمت على الإطاحة به. خاصة وأنها كانت تحب الرشيد وعلمت أن الهادي ينتوي إزاحته عن ولاية العهد. فبعثت إلى الهادي **ببعض جواربها أثناء مرضه فجلسوا على رأسه حتى خمدت أنفاسه**. وبذلك انتهى حكم الهادي بعد عام وبضعة شهور والليله التي مات فيها الهادي هي ليلة مات فيها خليفة وجلس خليفة، وولد خليفة، فالخليفة الذي مات هو الهادي، والذي جلس فيها على سرير الخلافة هو الرشيد والذي ولد له فيها هو ابنه المأمون. فلما تولى هارون الخلافة بعد الهادي، سارت معه الخيزران سيرتها مع سلفه وظلت تتحكم في شئون الدولة دون أن يجرو الرشيد على صدها.

تولى الرشيد السلطة والدولة العباسية في ذروة قوتها، فاستوزر مربيه ومؤدبه (يحيى بن خالد البرمكي)، وفوّض إليه شئون الحكم ثم استوزر (الفضل بن يحيى) أخاه في الرضاة واستوزر (جعفر بن يحيى) وبذلك اجتمعت السلطة كلها في يد يحيى وولديه وغلب نفوذ البرامكة كل نفوذ في الدولة، وبلغ (جعفر بن يحيى) من قلب الرشيد منزلة لم يبلغها أحد من أولاده أو أسرته. وبلغ من علو القدر ونفاذ الأمر وجلال المنزلة عند الرشيد ما جعله محلا لنقمة الحاسدين فقد عهد اليه الرشيد بإدارة شئون الأقاليم الغربية من الأنبار إلى أفريقية (تونس)، وكان الرشيد يفضل جعفر على أخيه الفضل ذلك الوزير الحازم الوقور الذي لا يعرف للمزاح محلا ، ولا تلمس شفتاه الخمر ، وهي صفات لا توافق مزاج الرشيد الذي يميل إلى المرح ، ويجب الشراب ويأنس الى المنادمة ... وكان يجد مبتغاه في شخصية جعفر ... وكان (يحيى بن خالد) والد جعفر رجلا عاقلا يعرف ظروف عصره ، ويعرف المناخ السياسي المشبع بالمؤامرات الذي يعيش فيه، وكان يخشى من إسراف الرشيد في حب ابنه جعفر ، ولا يأمن أن ينقلب هذا الحب إلى نقيضه عندما تدور الأيام ، وحاول الأب أن ينصح ابنه بالتعقل والاتزان في علاقته بالخليفة ، ولكن الابن لم يسمع لنصح أبيه.

**وفى ذلك يقول المسعودى في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر) :**

ذكر ذو معرفة بأخبار البرامكة أنه لما بلغ (جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك) ويحيى بن خالد، والفضل ، وغيرهم من آل برمك ما بلغوا من الملك وتناهاوا اليه من الرياسة، واستقامت لهم الأمور حتى قيل أن أيامهم عرس وسرور دائم لا يزول ... قال الرشيد (لجعفر بن يحيى) :

"ويحك يا جعفر؟! إنه ليس في الأرض طلعة أنا بها أنس، ولا إليها أميل وأنا بها أشد استمتاعا وأنسا مني برؤيتك، وأن للعباسة أختي منى موقفا ليس بدون ذلك، وقد نظرت في أمرى معكما ، فوجدتني لا أصبر

عك ولا عنها ، ورأيتنى ناقص الحظ والسرور منك يوم أكون معها ، وكذلك حكى يوم أكون معك دونها ، وقد رأيت شيئاً يجتمع لى به السرور، وتكاثف لى به اللذة والأنس "

فقال جعفر:

"وفكك الله يا أمير المؤمنين و عزم لك على الرشد في أمورك كلها"

قال الرشيد:

"قد زوجتكما تزويجا تملك به مجالستها والنظر إليها والاجتماع بها في مجلس أنا معكما فيه لا سوى ذلك"

فزوجة الرشيد بعد امتناع من جعفر إليه في ذلك، وأخذ الرشيد عليه عهد الله ومواثيقه وغلظ إيمانه أنه لا يخلو بها، ولا يجلس معها ، ولا يظله وإياها سقف إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما، فحلف جعفر على ذلك ورضى به ، وكانوا يجتمعون على هذه الحالة التي وصفناها وجعفر في ذلك صارف بصره عنها، مزور بوجهه هيبة لأمير المؤمنين ."

أما العباسية فقد أضمرت الاحتيال على جعفر بعد أن رد رسولها إليه وتهدهه ، فلجأت لأمه وأوهمتها أن زواجها من جعفر إن وقع كان به أمان لها ولولدها من زوال النعمة وسقوط مرتبته ، فاستجابت لها أم جعفر التي أقبلت يوما على ابنها وقالت له:

"يا بنى قد وصفت لى وصيفة في بعض القصور من تربية الملوك ذات جمال رائع لم ير مثله ، وقد عزمت على اشترائها لك".

فاستقبل جعفر كلامها بالقبول وتطلعت إليها نفسه ، وذهبت أمه على العباسية لتحدد موعد حضورها للقاء جعفر ، وفى تلك الليلة حضر جعفر من عند الرشيد ، وقد بقى في نفسه من الشراب فضلة لما عزم عليه ، وسأل عن الجارية فخبى بمكانها ، فأدخلت على فتى سكران لم يكن بصورتها عالما ، فقام إليها وواقعها، فلما قضى حاجته منها قالت له:

"كيف رأيت حيل بنات الملوك"

قال جعفر:

"وأى بنات الملوك تعنين؟!"

قالت:

"أنا مولاتك (العباسية) بنت المهدي"

فوئب فزعا وقد زال عنه سكره وأقبل على أمه وقال:

"لقد بعتنى بالثمن الرخيص، وحملتني على المركب الوعر، فانظري لما يؤول إليه حالي"

وانصرفت العباسية مشتملة منه على حمل، ثم ولدت غلاما ، فلما خافت ظهور الخبر وانتشاره وجهت الصبي والخادم والحاضنة إلى مكة، وأمرتها بتربيتها.

كانت زبيدة زوج الرشيد بالمنزلة التي لا يتقدمها أحد من نظرائها ، ذهبت إلى الرشيد لتشكو (يحيى بن خالد) الذى يمنع عنها الخدم ويضعها في غير موضعها ، فقال لها الرشيد إن يحيى غير متهم في حرمي،

فقال إن كان كذلك لحفظ ابنه مما ارتكبه ، فقال وما ذاك ، وقصّت عليه قصة العباسة مع جعفر ، فقال لها وما دليلك ؟ فقالت وأى دليل أدل من الولد !؟ قال وأين الولد ؟ قالت قد كان هنا ، فلما خافت ظهور أمره وجهته إلى مكة ، فقال لها أفيعلم هذا أحد غيرك ؟ قالت : ما في قصرك جارية إلا وقد علمت به ، فأظهر أنه قد عزم على الحج ، وخرج هو و (جعفر بن يحيى) وكتبت العباسة إلى الخادم والحاضنة أن يخرجوا بالصبي من مكة إلى اليمن، فلما وصل الرشيد إلى مكة وووغل من يثق به بالفحص والبحث عن أمر الصبي والخادم والحاضنة فوجد الأمر صحيحا ، فلما قضى حجه وعاد أضمر في البرامكة على إزالة نعمهم وأمر الرشيد خادمه (ياسر) وطلب منه أن يأتيه برأس جعفر ، فمضى (ياسر) حتى دخل على جعفر وقال له أن أمير المؤمنين أمرني بقتلك، فقال جعفر لا بد أنه يمازحني ، فقال والله ما رأيته إلا جادا قال فإن يكن الأمر كما قلت فهو سكران إرجع إلى أمير المؤمنين فأعلمه أنك قد نفذت ما أمرك به فإن أصبح نادما كانت حياتي على يدك جارية . وكانت لك عندي نعمة مجددة ، فمضيا إلى مكان الرشيد فدخل إليه (ياسر) فقال : يا أمير المؤمنين هو ذا جعفر بالحضرة ، فقال الرشيد إئتني برأسه وإلا قتلتك قبله فخرج (ياسر) وضرب رقبة جعفر وأدخلها إلى الرشيد فقال: يا ياسر إئتني بفلان وفلان ، فلما أتى بهما قال لهما : اضربوا عنق ياسر فأنا لا أقدر على النظر إلى قاتل جعفر.

وهكذا قتل جعفر أمام خيمة الرشيد، ومثل بجثته في اليوم التالي في شوارع بغداد ، وفي الحال قبض على (يحيى بن خالد) وأولاده الآخرين الفضل ومحمد وموسى، وألقوا في غياهب السجن وصدورت أموالهم كلها وجردوا من جميع أسباب الراحة والرفاهية ، وتعرضوا للإرهاق والمهانة ، فمات الوزير الشيخ (يحيى) في سجنه في سنة 190هـ (806م) ولحق به ابنه الفضل بعد ذلك بثلاثة أعوام ، أما محمد وموسى فقد أطلق الرشيد سراحهما لعدم خطورة مركزهما بعد أن هوت الأسرة إلى حضيض الفاقة والعدم.

ورثا البرامكة العديد من الشعراء ومنهم (على ابن ابي معاذ) حيث يقول:

يا أيها المغتر بالدهر ... والدهر ذو صرف وذو غدر  
لا تأمن الدهر وصولاته ... وكن من الدهر على حذر  
وخذ من الدنيا صفا عيشها ... واجر مع الدهر كما يجرى

ظل البرامكة يدبرون شئون الدولة سبعة عشر عاما أحسن تدبير وكان نجمهم دائم التآلق، ونفوذهم دائم التمكن والدولة تتمتع في ظلهم بالسكينة والاستقرار ولكن ارتفاع البرامكة إلى ذروة المجد والسلطان على هذا النحو ، وتمكنهم من قلوب العامة بفيض الجود والفضل كما أدى استئثارهم بجميع السلطات إلى اثاره جزع الرشيد وتوجسه مع غيره من خصومهم من رجال القصر ، وكان (الفضل بن الربيع) حاجب الرشيد ألد أعداء البرامكة وكان لا يدخر وسعا في الوشاية بهم وإثارة سخط الرشيد عليهم وكان الرشيد يرى أن بهاء البرامكة يكاد يغشى بهاء الخلافة ، وسلطانهم يكاد يمحو سلطانه .

ولم يكن للفضل بن الربيع سلطان يذكر حيث كانت الخيزران أم الرشيد هي صاحبة الأمر والنهي في الدولة ، وتعمل على إبعاده عن القصر خوفا من وشايته، ومن ثم لم ينل الفضل شيء يذكر إلى أن توفيت أم الخليفة (الخيزران) سنة 173هـ حيث قام هارون الرشيد فور وفاتها بأخذ خاتم الدولة من (جعفر بن يحيى) وأعطاه للفضل بن الربيع الذي أخذ يدق على وتر حساس هيج الرشيد على البرامكة ، فأذاع أنهم ملاحدة وثنيون ، يحنون إلى دين أجدادهم وأنهم يعملون من أجل الوصول للخلافة وتسببت في النهاية وشايات الفضل مع قصة العباسية وجعفر إلى ما انتهت إليه حياة البرامكة ويا لها من نهاية دامية .

## الرشيد يقتل شقيقته الحامل

وأخيرا نأتى إلى ما حدث للعباسية وأبنائها فنجد أن الرشيد بعد أن قتل جعفر ونكل بكل أسرته ، ذهب إلى العباسية في مقصورتها فنظر إليها وهي حامل ، فلم يكلمها في شيء ، ولم يعاتبها على ما فعلت ، وأمر إثنين من الخدم بإدخالها في صندوق كبير في مقصورتها بعد قتلها ، ووضعها بثيابها وحليها كما هي ، وقفل عليها ودفنها في حفرة بمقصورتها ، وبعد خروجه من المقصورة قال لمسرور يا مسرور خذ هؤلاء القوم (وهم العمال قتلة العباسية) وكانوا إثنين من الخدم وعشرة من الفعلة ، وطلب من مسرور أن يعطهم أجرهم ، فأخذهم مسرور ووضعهم في أجوله، وأثقلهم بالصخر ، ورماهم في نهر دجلة ، أما عن أبناء العباسية فبعد مقتل البرامكة يقول بن خلكان:

## الرشيد يقتل الحسن والحسين

"أحضر الرشيد من مكة ولدى جعفر من أخته ، فلما رآهما أعجب بهما وكانا في غاية الحسن والجمال ، فاستنطقهما، فوجد لغتهما مدنية وفصاحتها هاشمية وفي ألفاظهما عذوبة وبلاغة ، فقال لكبيرهما: ما اسمك يا قرة عيني ؟ فقال الحسن ، وقال للصغير ما اسمك يا حبيبي؟ فقال الحسين ، فنظر اليهما وبكى بكاء شديدا ، ثم قال : يعز علي حسنكما وجمالكما ، لا رحم الله من ظلمكما... ثم دعا مسرورا وأمره بقتلها ودفنها مع أمهما.

وهكذا كانت نكبة البرامكة واحدة من أبشع الحوادث التي دانت عهد الرشيد الذي كان على الرغم من حبه للهو والمرح كما تصوره لنا قصة ألف ليلة وليلة ، إلا أنه كان كغيره من أمراء العصور الوسطى حاكما متسلطا مستتبدا إقتدى في ذلك بأثار جده أبو جعفر المنصور من حيث الصرامة والقسوة المفرطة في معاملة من يخالفه الرأي أو يخرج على سلطان الدولة وسلطة أمير المؤمنين.

\*\*\*

## عن المجموعة التاريخية "انغام التاريخ" للدكتورة ثناء حامد

المراجع:

- 1- مروج الذهب ومعادن الجوهر (المسعودى) .
- 2- تراجم إسلامية - (محمد عبدالله عنان).
- 3- هارون الرشيد تأليف (هارى سينت جون فليبي) ترجمة د.صبرى محمد حسن.

**نبذه :** ثناء حامد. من مواليد بلبيس / شرقية تخرجت من كلية الصيدلة جامعة الإسكندرية عام 1970م. وحاصلة على ماجستير في الكيمياء، وليسانس حقوق من جامعة الإسكندرية. لها كتابات تاريخية منها مجموعة "معزوفات تاريخية" وهي تتناول التاريخ بطريقة خاصة أقرب إلى فنون الرسم والعزف. لهذا تعترض على طريقة تناول شقيقها مصطفى حامد للتاريخ في كتابه (التاريخ لا يفيد) كمادة تبرز المعارك بأنواعها ما أفقد التاريخ الطابع الشعري والجمالى الذى تزخر به فتراته. ومع ذلك فقد أعجبها كتيب

(سيدي المتولي). ونظرا لأنها (شقيقتي الصغرى)، ورغم اجتهادها وتفوقها الدراسي، فإن رأيها { مثل التاريخ ..... لايفيد }.. مصطفى حامد .

## نكبة البرامكة

رواية المقریزی في كتابه السلوك.

(ص 180 ج 2) السلوك للمقریزی

العباسة علية بنت المهدي ابن المنصور ، من بني العباس أخت هارون الرشيد : أديبة شاعرة .

تحسن صناعة الغناء من أجمل النساء وأظرفهن وأكملهن فضلا وعقلا وصيانة. كان أخوها إبراهيم ابن المهدي يأخذ الغناء .

كان في جبينها ما يشين جمالها فاتخذت عصابة مكلفة بالجواهر لتستر وجهها وهي أول من اتخذها. قال الصولي: لا أعرف لخلفاء بني العباس بنتا مثلها كانت أكثر أيام طهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم المحراب ، فإذا لم تصل اشتغلت بلهوها . وكان أخوها الرشيد يبالغ في إكرامها ويجلسها معه على سريره وهي تأتي ذلك وتوفيه حقه

تزوجها موسى ابن عيسى العباس.

ويضيف المقریز في كتابه:

### سنة ستمائة أثنین وثمانین (ص 185 - ج 2)

وفيهما توفي الأمير شهاب الدين أحمد ابن حجي ابن يزيد البرمكي أمير آل مرا، وكانت وفاته ببصرى. وكانت غاراته تنتهي إلي أقصى نجد والحجاز ، وأكثرهم يؤدون إليه إتاوة في كل سنة، فمن قطعها منهم أغار عليه، وكان يدعى أنه من نسل جعفر البرمكي من العباسية أخت الرشيد ، ويقول تزوجها ورزق منها أولاداً!!! .

ولما جري علي البرامكة ما جري(!!) هرب أولاده منها إلي البادية ، فأخذهم جدهم.!!! "والله أعلم .

وكان يقول للقاضي شمس الدين ابن خلکان (أنت ابن عمي) وكان بينهما مهادة ، وانتفع ابن خلکان به وباعتناؤه عند السلطان .

### تعليق الكاتب:

عدنا إلي هارون الرشيد مرة أخرى من باب نكبة البرامكة كما أشتهر أسمها في التاريخ ، وهي القضاء علي الأسرة البرمكية التي كانت أحد أعمدة الدولة العباسية. وعندما قضي عليهم هارون الرشيد فكأنما قطع يدة اليمنى .

ليس فقط لأنه خلع واحدة من الركائز التي قامت عليها الدولة العباسية في صراعها ضد العباسيين بل أيضا ضد الأسرة التي كانت تتولي الأمور الإدارية للدولة .

فأنهار النظام الإداري بدءا من القصر الخلافي وصولا إلي أطراف الإمبراطورية نتجة تولى غير المؤهلين المناصب العليا وكل قدرتهم كانت مهارتهم في النميمة والوقیعة والتزلف لأمير المؤمنين والتقرب من الدولة

العميقة التي بدأت تظهر في القصر العباسي علي يد الملكة الأم خيزران زوجة الخليفة الهادي والد هارون الرشيد أقوى خلفاء بني العباس في أزهي عصور دولته ومع ذلك كانت الخيزران هي التي تستبد بشؤون الحكم.

حتي عندما تولى الهادي الخلافة بعد موت أبيه المهدي فأنها لم تتراجع عن مكانتها كحاكم حقيقي للإمبراطورية ومتحكم في قصر الخلافة حتي أضطر الخليفة الهادي إلي الصدام معها وتهديدها ومحاولة دس السم لها فأسرعت هي إلي قتلة بواسطة جواريتها ضخام الأوزان اللاتي جلسن عليه حتي لفظ أنفاسه الأخيرة وكان مريضاً ولم يستمر حكمه أكثر من سنة وبضع شهور. في تحذير واضح لخلفاء بني العباس الذين جاءوا من بعده بما فيهم هارون الرشيد .

### البرامكة : صعود امبراطوري وسقوط اضطراري كارثي

في عهد الرشيد صعد نجم البرامكة إلي أعلي درجاته متوازية مع مكانة الدولة العباسية في العالم حيث كانت هي الأكبر والأغني والأقوي .

ويعود الفضل جزئياً إلي حُسن تدبير العائلة البرمكية لشؤون الدولة خاصة كبيرهم (يحيي ابن خالد البرمكي (جعفر والفضل) .

يبدو أن المؤرخ المسعودي في كتابة (مروج الذهب) كان هو الأكثر اطلاعا علي شئون القصر العباسي في ذلك الوقت فجأت شهادته تفصيلية بشكل مدهش بعكس المقريري في كتابة السلوك الذي كان متحفظاً جداً وكأنه خاف أن يستخدم ما لديه من معلومات لأنها خارج عن سياق تمجيد تلك الفترة ورموزها الكبيرة وعلي رأسها هارون الرشيد . فأورد حادث البرامكة بصيغة الشك: (فلما حدث لهم ما حدث!! بدون أن يقترب من ما حدث ولو بالإشارة) وأختتم كلامه بقوله الله أعلم وترك المسؤولية علي عاتق القارئ حتي لا يتحمل هو وزر الثواب والعقاب والقليل والقال.

ولكن المقريري أنفرد في الجزء الثاني من كتابه بالحديث عن تطور الأمور بالنسبة لنسل البرامكة من العباسية أخت الرشيد وذكر أن بعضهم هرب إلي البادية فأخذهم جدهم (لا ندري أي جد يقصد لأن أجدادهم في النسب كانوا قد ماتوا أو قتلوا) .

هذا البرمكي الأخير وكان يدعي شهاب الدين أحمد كان قاطع طريق خطير وله منطقت نفوذ كبيرة في الحجاز ونجد ويجمع الأتاوات لنفسه .

وبهذا فإن المقريري وضع نهاية واقعية لقصة البرامكة ولكنه ظل متحفظاً لكل الرواية ما عادا عند كلامه عن العباسية أخت هارون الرشيد وعند حديثه عن مزايا هارون الرشيد والتي ملأت كتب التاريخ بالحق وبالباطل .

ولكن رواية المسعودي رسمت صورة جديدة مخالفة لكل ما قيل في كتب التاريخ عن هارون الرشيد .

فتظهر هارون الرشيد كشخص مريض نفسياً لاشك في جنونة وقد كان بطلاً لمأساة من النوع العنيف الذي يتفوق علي قصص المآسي الأغرقيية القديمة .

ويشكل مجالاً خصباً لباحثي علم النفس وأمراض الجنون وغريب أن المؤرخين المسلمين والعرب تفادوا ذلك تماماً فلا يذكروه إلا في حالته الإمبراطورية القوية الباذخة المفرطة في الشهوات وهي الصورة التي يفضلها الغرب ويكررها في كل وسائل الأدب والفن.

بعكس ما فعلوه مثلاً مع مريض نفسي آخر ومجنون تولى السلطة في مصر وهو الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الذي قتلته أخته (ست الملك) لتوقف شروره التي طالت شعب مصر وانطلق الكُتّاب من تلك القصة .

لأنها تمس الجانب المنهزم ، وهي الدولة الفاطمية التي تمثل المذهب الشيعي .

الرشيد قتل أعز أصدقائه جعفر البرمكي ومثل بحثته في بغداد ثم بكى عليه وقتل قاتله الذي أعطاه الأمر بنفيه.

ثم أباد الأسرة البرمكية التي كانت محرك دولته ثم قتل أخته العباسة وكانت حاملاً، ووضعها في صندوق ثم أحضر طفليها الحسن والحسين فأحبهما حباً جماً وبكى قائلاً: لعن الله من ظلمكما.!!!! ( فمن ظلمهما غيره؟)

ثم أمر بقتلها ووضعها في نفس الصندوق مع أمهما ودفن الجميع في مقصورتها ثم أمر بقتل كل من شارك في تلك الجريمة تاركاً لنا أثراً لا ندري ماذا نفعل فيه ؟.

وهناك مؤرخون جازفوا بقول الحقيقة أو حزاء منها مثل ما فعل المسعودي ولا ندري عاقبة ذلك عليه. وهناك قطيع لا ينتهي من ملفقي التاريخ وطبلخانة السلاطين وسباكي الفتاوي المزورة .

هؤلاء مستمررون منذ وقوع كارثة كربلاء وحتى اليوم وبعد الغد وهم خط الدفاع الأول عن سلاطين الجور، وهم حرب علي الإسلام رغم أن بعضهم يحمل لقب شيخ الإسلام أو لقب "علامة" أو دكتور .

ليس هناك طريق سهل للوصول إلي الحقيقة كما قلنا. فهي علي الدوام محاطة بحرس مسلح من الأكاذيب ولا بد من الاشتباك معهم حتي نصل إلي تلك الحقيقة أن استطعنا .

وفتح هؤلاء المجال علي مصراعيه للدولة العميقة، كي تنشأ وتقوي وتسيطر علي الدولة وتوصل الأمة إلي الأنهار .

\*\*\*

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه

## تقارب أموي بيزنطي

### على أساس الحكم الإمبراطوري الملحد

القسطنطينية وروما كانتا تتابعان بدقة ما يحدث في جزيرة العرب منذ ظهور الإسلام. وهذا منطقي وضروري لامبراطوريات حكمت العالم لقرون طويلة

كانت روما والإمبراطورية الفارسية هما القوتان المسيطرتان علي العالم. وميزان القوة وقت ظهور الإسلام يميل إلي الروم ، بينما فارس أخذت في الضعف وشعوبها تتطلع إلي نظام أخف وطأة من النظام الإمبراطوري الحاكم .

لهذا فاستقبالهم للإسلام كان على الأقل محايداً ومتعاطف أحياناً.

وفي الإمبراطورية الرومانية بدأت الشعوب المستضعفة علي أطرافها تتذمر من الظلم الروماني.

قرب مركز الأحداث في جزيرة العرب، كان المصريون يتطلعون إلي ما يحدث هناك على أمل أن يأتي نظام ديني يحكم بشرائع سماوية عادلة ينقذهم مما هم فيه من ظلم الرومان.

فكانوا أول من استنجد بالخلافة الإسلامية في المدينة المنورة كي تنقذهم من ظلم الرومان في مصر .

وعندما أنقلب العرب إلي نمط الحكم الروماني الذي يمارس فيه الإمبراطور صلاحيات التحكم المطلق في شئون الدنيا والدين معا.

دخلت مصر في سلطان الدولة الإسلامية التي تحولت إلي الاستبداد الروماني.

فدفع المصريون ثمناً غالباً لتطلعهم إلي الحرية علي يد المسلمين. فقد كان بطش المسلمين بهم لا يقل عن بطش الرومان .

رحب الروم في بيزنطة بتخلي العرب عن "قانون الولاية الشرعية"، أي أن يحكمهم أشخاص نص عليهم الرسول بأمر من الله. إذ رأّت قريش أنها قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها، وليست بحاجة إلي وصاية من السماء، وأن الشوري بين قادة قريش ومن تبقي من الأنصار كافية لاختيار الحاكم المناسب.

كما أن الشورى تفتح مجالاً لتداول السلطة بين القبائل وظنوا أن ذلك حلاً موفقاً وسعيداً وبمرور الوقت فإن كل قبيلة ستحظى بفرصة للسيادة والحكم. (وَهُمْ الديموقراطية الإسلامية !!).

ولكن ذلك جلب البلاء علي المسلمين جميعاً علي مر العصور وأول من انقلب علي الشورى هم بنو أمية الذين كانوا أصحاب فكرتها في الأساس ولكنهم تولوا السلطة بلا شورى مع باقي المسلمين. فانهارت الشورى الإسلامية شبه الديموقراطية بتواطؤ مشترك غير معلن بين الأمويين والبيزنطيين. ثم ادّعى الأمويون أنهم هم الأقوى وأن سيطرتهم ستجلب الهدوء والسلام للأمة، في تهديد مبطن لباقي القبائل أنه إذا منعهم أحد فإن رمال جزيرة العرب سترتوي بالدماء. فكان ذلك منبع سعادة للرومان في بيزنطة فقد تخلصوا من شبح الحكم المرتبط بالسماء وأصبح بجوارهم امبراطورية دينية إسماء، ولادينية فعلا. مثل باقي الإمبراطوريات. ويحكم حركتها قانون الصراع على بسط النفوذ والسيطرة على الأرض والشعوب والثروات. وتتناوب أحوال

روما معها ما بين حرب وما بين تعاون وتجارة إلى أن يتمكن أحدهما من إقصاء الآخر والقضاء عليه والاستيلاء على ثرواته وأراضيه.

يمكن أن نتصور أن امبراطور بيزنطة/ببطبيعة الحال/ قدم المعونات الظاهرة والباطنة لدعم اتجاه بني أمية وبني مروان للتحويل إلى النظام الإمبراطوري التقليدي ذو غلالة دينية رقيقة تكسبه تعاطف العوام وحماس المؤمنين الحالمين الذين يشاركون في الحروب الصليبية على الجانب الأوروبي أو الحروب الجهادية على الجانب الإسلامي تحت راية أباطرة مسلمين أو مسيحيين لا يعينهم الدين في شيء سوي تمكين ممالكهم وسلطانهم.

من أشكال التعاون التي ذكرها التاريخ ولا يخجل المدافعون عن الطواغيت على مر العصور أن يذكروها في كتبهم القديمة والحديثة، تلك الجزية التي دفعها الخليفة عبد الملك بن مروان للإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية. واعتبروها براعة سياسية.

وقد ذكروا مقدارها السنوي وهو ثلاثمائة وخمس وستين الف دينار ذهبي وثلاثمائة وخمس وستين عبد إضافة إلى ثلاثمائة خمس وستين جوادا أصيلا

كل ذلك في مقابل أن توقف بيزنطة هجماتها على الشام حتى يتمكن الخليفة ابن مروان من القضاء على الموالين لآل البيت في العراق وجزيرة العرب.

لا تخجل هيئة الدفاع عن الطواغيت من القول ان عبد الملك ابن مروان الخليفة الغيور قد تصرف "بجرأة" عندما استبدل الأموال التي يدفعها كجزية للإمبراطور بدلا من أن تكون دنانير بيزنطية حولها إلى دنانير إسلامية مسكوكة في الشام.

وهذا تدليس واضح لأن العملة الذهبية تحمل قيمتها في نفسها وكمية الذهب واحدة سواء سددها الخليفة للإمبراطور بالدينار الإسلامي أو بالدينار البيزنطي. ولكن التدليس ينفع في تشويه الحقيقة عندما لا يمكن إخفاؤها بالكامل.

لم يكن بنو أمية ليمتلكوا تلك الثقة في الانقلاب على الإسلام لولا التفاهم مع بيزنطة المجاورة لتقف على إحياد أو أن تساعدهم على باقي العرب حتى لا تنتكس الأمور إلي مبدأ "الولاية" ووقتها تقع الطامة علي رأس دمشق والقسطنطينية.

إصرار الرسول صلى الله عليه وسلم على متابعة الحرب ضد جبهة الشام ودفع جيوش القسطنطينية إلى الخلف كان فيه إشارة كافية إلى مصدر الخطر الأساسي وان خطر المرتدين الذي يهدد المدينة يأتي تاليا لخطر الروم في الشام.

والذي يتمعن في مسار التاريخ يدرك صحة هذه الرؤية وان تلك الإشارة لم يدركها الصحابة في وقتها نظرا للصدمة الهائلة لوفاة الرسول وانشغالهم بمسألة قيادة الأمة من بعده "ولاية أم شوري؟" وقدروا وقتها أن خطر المرتدين أقرب من ناحية المسافة من خطر الرومان وفضلوا التوجه إلي حرب المرتدين أولا .

ولكن هزيمة المرتدين لم تقض عليهم بل نقلت تحالفهم إلي المحور المعادي للدين الإسلامي . خاصة الذين أظهروا الإسلام واستبطنوا الكفر من طلقاء مكة الذين أسلموا عند الفتح وعلى رأسهم بنو أمية، أكبر منافسي بني هاشم. كارهي نبوة الرسول الهاشمي محمد صلى الله عليه وسلم. وتقريره عليا وليا عليهم عند غدير خُم في رحلته عائدا من مكة إلى المدينة. فمبدأ الولاية الشرعية قضى على أمل أمية وباقي زعماء

القبائل في قيادة العرب تحت راية الإسلام فكلن لابد لهم من القضاء على مبدأ الولاية (المنحصر في آل علي بن أبي طالب) أو القضاء على الإسلام أو القضاء على الإثنين معا. وهو ما حدث بالفعل.  
(من ضمن وصايا عديدة نسيها المسلمون وقد أوصى بها الرسول وهو على فراش الموت قوله " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب").

نتيجة ذلك كان المرتدون ظهيرا لعملية الانقلاب على الخلافة والشورى والحكم بالشريعة والتصريح علنا بإنكارهم للدين. تطور الأمر في العصر الراهن أن أصبح تعداد المشركين في جزيرة العرب أضعاف عدد المسلمين. بل أصبحت أسرة الصهبيوني روتشيد أصحاب البنوك الشهيرة، هم أصحاب الحكم الفعلي لجزيرة العرب وإسرائيل في وقت واحد.

ولبني أمية علاقات مع بيزنطة منذ أيام رحلة الصيف إلى الشام للتجارة فأقاموا علاقات قوية هناك وتبادلوا معهم وجهات النظر في كل الأمور. وكان لأبو سفيان صداقة خاصة مع الإمبراطور البيزنطي الذي كان يرى في الزعيم القرشي عبقريا وتاجرا نهماً يمكن الإعتماد عليه كصديق قرشي هام لبيزنطة.

## بوصله الدولة العميقة في الإمبراطورية العباسية تشير إلى بيزنطة

الدولة العباسية استمرت لأكثر من خمس قرون فكانت تجربة غنية أتاحت فرصة كافية لمتابعة وفهم الدروس والعبر لولا أن التاريخ لا يفيد الأحصنة بل يفيد البشر أو العقلاء فقط.

بدأت ظاهرة حكم النسوان في الإمبراطورية الإسلامية مع الخيزران زوجة الخليفة الهادي وأم الخلفاء المهدي والرشيد .

فقتلت الأول (وتسببت على الأغلب في جنون الثاني "الرشيد").

تطور حكم النسوان وأكتمل علي يد (القهرمانه تُمل) التي يبدو أنها استكملت بناء دولتها العميقة وتشعبت بها لتضم ليس فقط الحريم والجواري والغلمان والشواذ بل ضمت أيضا مسؤولين كبار وقادة في الجيش. بل وفقهاء (مشايخ إسلام) وقضاة يحضرون مجالسها القضائية.

واضح أن صراعات حدثت داخل الدولة العميقة تجلت في تبدل القوي التي سيطرت على الخلافة وكانت معظم الوقت لصالح العنصر التركي وسيطرته على قصر الخلافة بما يعني زيادة وزنه النسبي داخل الدولة العميقة التي مازالت للجواري فيها اليد الاطول.

ساعد على ذلك أجواء الرفاهية الشديد والانغماس في اللذات والخمور والترفيه ومجالس الأُس وتهتك الخلفاء وسار كبار مسؤولي الدولة علي خطاهم.

وفي ذلك مناخ ذهبي للدولة العميقة والدول الخارجية التي تتحالف معهم.

فقد تمكن الأتراك بقوتهم في القصر الخلافي والدولة العميقة من أقامه عدة دول تركية منها مثلا الدولة السلجوقية في الأناضول ومنها الدولة الغزنوية في أفغانستان واستقلال ولاة أترك بمصر والشام (الدولة الطولونية). أيضا الصليبيون في القسطنطينية حققوا مكاسب كبيرة في ظل سيطرة النسوان علي الخلافة وتنامي قوة الدولة العميقة في بغداد بما يؤكد علي وجود نوع من التعاون بين بيزنطة وساقطات الدولة العميقة في قصر الخلافة .

فالمكاسب التي حققها الصليبيون في الشام لم تكن بسيطة أبداً في ظل سيطرة القهرمانه ثمل زعيمة الدولة العميقة .

فقد حصل الصليبيون علي القدس كغنيمه بارده وبلا أي مقاومه تذكر وبلا رد فعل دينية من خليفة المسلمين. ولا تعليقات من هيئة الدفاع عن الشيطان، حيث لم يجدوا أثراً لأي علقمي أو شيعي كان يمر بمحض الصدفة عل مسيرة أشهر لتحميله مسئولية ضياع القدس، فاضطرت الهيئة إلى تجاهل الأمر وكأنه لم يكن لأن الخلفة ربيب النساء وسيدته ثمل هما مناطق مقدسه محظوره في فقه مشايخ الإسلام.

الصليبيون في بيزنطة وبمعونه من اخوانهم في روما سيطروا على شواطئ الشام كغنائم بارده وكأنهم يقطعون لحما من جسد ميت. وهذه من مزايا الدولة العميقة أن تفقد الشعب المسلم قدرته على الإحساس أو إبداء رده فعل. كما نشاهد الآن في بلادنا العربية والإسلامية وفي الحقيقة أن الأجهزة العميقة السرية التي تدير بلاد المسلمين هي التي تخنق الحريات والضمان وتشييع الظلم وتخلط المفاهيم حتي يفقد المسلم قدرته علي التمييز بين الحق والباطل وبين الحقيقي والمزيف .

### تدمير ثقافة المدينة المنورة هدف منشود لبني أمية وبني سعود

عمل الأمويون منذ أول لحظة لاغتصابهم للسلطة على تغيير ثقافة المسلمين خاصة في المدينة المنورة وبالقرب منها. وشجعوا وسائل اللهو والطرب والسهرات وتحويل طابعهما الاسلامي كمدنية للرسول (صلي الله عليه وسلم) وفيها مسجده الشريف علي أمل أن التحول الديني والثقافي في المدينة سينتقل إلى باقي بلاد المسلمين.

وتلك هي النظرية التي يعمل بها آل سعود لتغيير الطابع الديني في المدينة ومكة والحجاز كله وتحويل الأراضي المقدسة إلي الطابع الثقافي الملحد تحت وصاية الصهيونية الدولية.

فشل الأمويون في مسعاهم وثار أهل المدينة عليهم وأجلوهم منها. فحاول يزيد إبادة سكان المدينة فأرسل جيشاً كبيراً بقيادة مسلم بن عقبة ولكنه لم يتمكن الا من قتل عشرة آلاف رجل فقط، واستباح المدينة وأعراض النساء فيها لمدة ثلاثة أيام. نتج عنها ولادة ألف طفل غير شرعي وهي وسيلة للتغيير الثقافي اتبعها الأمويون في المدينة المنورة.

### الدولة العميقة الأموية تشير أيضاً إلى بيزنطة

تكلما في موضع سابق عن أن الحَكَم بن أبي العاص هو أول من أسس الدولة العميقة في الإسلام واتخذ لنفسه موضعاً حساساً قصر الخلافي، إلى جانب الخليفة الراشد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) مستغلاً القربة الأموية بينهما وعمل كاتباً خاصاً له.

و الحَكَم هو أسوأ الكائنات أثراً في تاريخ الإسلام.

فهو الذي قضى علي الخلافة الراشدة وتمكن ابنه مروان من إسقاط الخلافة الأموية واغتصاب الحكم لنفسه ولذريته من بعده فقامت الدولة المروانية كآخر حلقة في الحكم الأموي .

حتى نبحت عن القوة الخارجية التي ساندته فلننظر إلى المكاسب التي حققتها تلك القوة الخارجية نتيجة تولى الدولة العميقة لزام الأمور في المدينة ثم الشام. خلال تلك المرحلة .

فنجد أن روما والقسطنطينية حققنا أكبر مكسب تاريخي لأوروبا المسيحية علي الإسلام .

وفي خطوات ينبغي دراستها بتمعن شديد نجد أن المسلمين منذ (وقت مروان ابن الحكم) وحتى الآن صاروا مثل ذبابة وقعت في بيت عنكبوت فكلمنا حاولت أن تتخلص تعقدت قيودها أكثر .

ولا يمكن أن تخرج أي فريسه من فخ أعدائها الا إذا فهمت ماذا حدث وكيف حدث، ولماذا ؟

أي أن تفكر وتستوعب وتخرج بالنتائج وتضع خطط وقرارات بدلا من الصباح الأبله الذي أخذونا إليه والحديث العقيم عن صراع مذهبي لا وجود له بغير الدولة أو الدول العميقة في بلادنا. أن ليس هناك أعداء للمسلمين سوى ذلك العلقمي وأهلهم فجعلوا منه طوق نجاة لجميع الطواغيت والخونة الذين حكموا المسلمين معظم فترات التاريخ. حتى اتخذهم المسلمون ديناً جديداً أو إسلاماً حقيقياً بالاصطلاح الإسرائيلي الحديث.

لا شك أن أوروبا في ذلك الوقت سواء في روما أو بيزنطة ، كانت تتمتع بخبرة إدارية عميقة جدا ومعرفة بشئون الحكم وما يتعلق به من حروب واقتصاد واستراتيجية وسلاح وأساطيل مع تراث عسكري مليء بالمعارك في كافة القارات .

أي أن العرب وقتها من ناحية إدارة الدولة والمكائد بين الدول كانوا لا يمكن مقارنتهم بالرومان فهم الأضعف في كل تلك المجالات ولا يمكنهم مواجهة الروم .

## بدون إقامة الدين بالعدل والمساواة

### تكون الغزوات مجرد عدوان والفتوحات استعماراً

بدون إقامة حقيقية للدين (بالعدالة والمساواة) فإن الغزو يكون مجرد عدوان. والفتوحات مجرد استعمار منافق. والحاكم شيطان في ثياب الناسكين. وأكثر شعب عانى من ذلك التناقض بين الشعار الإسلامي المثالي وتطبيقه المزيف كانوا هم المصريون الذين فتح اباطرة الإسلام بلادهم عدة مرات لتكرار السطو(الغنائم) والإفقار (الجزية ومصادرة الثروات والعقارات) ويعاملون شعب مصر في كل مرة معاملة الكافرين.

في البداية جاء عمرو بن العاص بدعوة من شعب مصر. ولكن بعده بقرون جاء جيش الخليفة العباسي وفتح مصر مرة ثانية، ثم صلاح الدين للفتح الثالث. ثم سليم العثماني للفتح الرابع. ولما استنزفت مصر بكثرة الفتوحات الإسلامية والطغيان الرهيب باسم الدين. افتقرت ماديا وتلفت وصدأت روحيا. انهالت عليها الفتوحات الأوروبية. فبدأ الفرنسيون وتبعهم الإنجليز وفشل الألمان. وأخيرا نجح اليهود.

وأخذ تعداد المصريين يتضخم (وتلاها في التناسل) بينما قيمتهم تتلاشى ويختفى دور بلادهم وتفقد رسالتها وروحها المتدينة التي عرفت عنها طوال التاريخ.

فقوة العرب كانت في ذلك الدين الجديد الذي يدعو إلى التوحيد لله وإلغاء جميع المعبودات الأخرى وتوحيد الشريعة بإلغاء جميع الشرائع البشرية. لتبقى شريعة واحدة توجه الفرد والمجتمع والدولة إلى المثل العليا وأولها العدالة في الحكم والمساواة بين الناس بلا فضل لعنصر علي عنصر آخر سوي بالتقوي. هنا كانت قوة العرب والمسلمين وخطورتهم على روما وبيزنطة وفارس. إنه النظام الذي يدعو ويطبق واقعا العدل والمساواة بين الناس. إنها قوة الدين وليست قوة السيف. لكن الدولة الإسلامية تحولت إلى النموذج الإمبراطوري القيصري وتوقفت عن تطبيق العدالة والمساواة واعتمدت تماما على التوسع بالسيف وأسموا ذلك زورا "فتوحات إسلامية"، هو في الحقيقة توسع إمبراطوري متعسف لتوسيع ملك الظالمين وتعظيم ثرواتهم. ونشر الطغيان بين البشر ولكن باسم الدين، وتلك جريمة في حد ذاتها.

شعرت روما بالخطر والتهديد من هذا الدين الجديد خاصة عندما شهدت أقبال شعوب المستعمرات الرومانية عليه. وعلى الدولة الناشئة في المدينة المنورة كي تأتي وتضمهم تحت سلطانها كما فعل المصريون والفرس وغيرهم لهذا رحب الرومان باتجاه العرب قيادة أمية نحو الحُكم الإمبراطوري الوري الذي يجعل المَلِك ذو سلطة مطلقة على رعاياه ويشرف على الجهاز الديني بنفسه معتبرا نفسه الإله والإمبراطور في نفس الوقت. أي استخدام الدين وليس خدمته والخضوع لأحكامه.

فبذل الروم جهودهم لدعم هذا الاتجاه في جزيرة العرب ودعم الانشقاق الرامي الي تحويل النظام في المدينة المنورة إلى حكم وراثي مستبد.

لم يثُبت في التاريخ المكتوب بالعربية وجود اتصال مادي أو مساعدات مباشرة من القسطنطينية القريبة من الشام لدعم الانقلاب الأموي أو لدعم عملية الردة عن الإسلام. كون تاريخنا العربي تحت الرقابة الأبدية ومعرض للحذف والتعديل، بالإضافة أو المزيد من التمويه. ويتعرض الباحثون لإرهاب فكري وأمني.

اباطرة بيزنطة منذ أواخر عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) نسقوا عملياتهم العسكرية بحيث تساند عمليات المرتدين لأشغال جيوش المدينة المنورة وإضعاف قوتها وإجبارها القتال على جبهتين جبهة المرتدين وجبهة جيوش بيزنطة التي تهدد بغزو المدينة المنورة.

كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يري أن الأولية للتصدي يجب أن توجه إلى الزحف البيزنطي القادم من الشام لردعه عن التدخل في صراعات جزيرة العرب وهو التدخل الذي يدعم بشكل غير مباشر حركة المرتدين.

## خشية العرب من بيزنطة

كان الصحابة في ذلك الوقت يخافون تحريك القوات صوب الشام لملاقاة الروم فربما يستغل المرتدون تلك اللحظة للهجوم على المدينة.

ولكن بلا شك كان ما أمر به الرسول (صلى الله عليه وسلم) هو الصواب فتوجه بنفسه على رأس حملة إلى الشام لملاقاة الروم عند دومة الجندل في وقت شديد الحرارة وظروف اقتصادية غاية الصعوبة حتى سميت تلك الغزوة غزوة العُسرة ولكنها أدت المطلوب منها وانسحب الروم مسافة كبيرة إلى الخلف.

ولكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) تابع التأكيد على ان جبهة الروم لها الأولوية على جبهة المرتدين وأرسل جيشا بقيادة زيد ابن حارسه لمتابعة حماية حدود الجزيرة من أي تحشدات بيزنطية. فكانت غزوة مؤتة التي أستشهد فيها زيد ابن حارسه ولمع فيها نجم خالد بن الوليد .

وقبل وفاته بقليل أمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بتجهيز حملة عسكرية جديدة يقودها أسامة نجل الشهيد زيد ابن حارسه لمواصلة ردع البيزنطيين عن محاولة التفكير في التدخل العسكري في جزيرة العرب وشدد كثيرا على ضرورة أنفاذ بعث أسامة وحذر من التخلف عن ذلك البعث. ولكن فكرة بعث اسامة ألغيت.

\*\*\*

عن أبي بكر الصديق أنه قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْنَا أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه

## الخليفة الأموي يدفع الجزية لبيزنطة

الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان يتنازل لبيزنطة عن نصف خراج الأندلس وأرمينيا وقبرص.

جزية يدفعها الخليفة عبد الملك بن مروان لمدة عشر سنوات لإمبراطور بيزنطة:

1- عشرة آلاف دينار ذهبي في اليوم.

2- جواد أصيل كل يوم.

3- عبد كل يوم.

يقول مؤرخو الدفاع عن الطواغيت.. ما يلي:

اضطر الخليفة عبد الملك إلى شراء سكوتهم (البيزنطيين) تفاديا للحرب في هذه المنطقة من جهة، وللتفرغ للمشاكل الداخلية التي استجدت في العالم الإسلامي من جهة أخرى، فعقد مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني معاهدة في عام (70هـ / 689م) تعهد الخليفة بمقتضاها أن:

1- يدفع مالا للإمبراطور البيزنطي يبلغ سنويا ثلاثمائة وخمس وستين ألف قطعة ذهبية، وثلاثمائة وخمسة وستين عبداً وثلاثمائة وخمسة وستين جواداً أصيلاً، مقابل وقف الغارات البيزنطية، على الأراضي الإسلامية.

2- تقسم الدولتان الإسلامية البيزنطية خراج أرمينيا وقبرص إيبيريا (الأندلس).

ويقول المصدر التاريخي الطاغوتي:

في عام (73هـ / 692م) كشف عبد الملك عن نواياه تجاه الإمبراطورية البيزنطية بعد ما فرغ من مشاكله الداخلية، عندما قام بضرب الدنانير الذهبية الإسلامية وأرسلها كجزية بدلا من العملة البيزنطية. وقد حمل

هذا التصرف معنى التحدي للإمبراطور من جهة، كما دل على أن الخليفة على وشك استئناف النشاط العسكري على الجبهة البيزنطية من جهة أخرى.

## تردد عربي عن مواجهة بيزنطة مبكرا

كبار المسلمين خشوا أن يتحرك أسامة بن زيد بينما الرسول يتوفى في نفس الوقت وهذا ما حدث أذ توفي الرسول قبل أن يتحرك أسامة.

واختير أبوبكر الصديق خليفة للمسلمين في المدينة المنورة وأمر ببدء الحملات ضد المرتدين في جزيرة العرب وكانت حملات شاقة عنيفة كبدت المسلمين خسائر كبيرة في الأفراد.

ولكن المسلمون انتصروا واستسلم المرتدون لأحكام الخليفة أبوبكر ومع ذلك لم تمر حروب الردة بدون فوائد علي كفار جزيرة العرب لقد بلورت الأساس النظري للارتداد عن الإسلام .

وهو ما وضعه يزيد ابن ابي سفيان في صورة واضحة وقاطعة وبلغه .

صارت دستوراً للحكم الإسلامي القيصري، الذي وصفه المسلمون الأوائل بأنه حكم هرقلي كلما مات هرقل جاء هرقل، بالوراثة وبلا نص شرعي. صاغ يزيد كما ذكرنا في موقع سابق نظرية الردة عن الإسلام في شعر أنكره محبوه وتابعوه وأثبتته وقائع سجلوها في كتبهم ولكن لم يستنكروها أو يدينوها من ناحية شرعية بل حاولوا البحث لها عن تبريرات سياسية وشرعية وأحيانا تكنولوجية مثل الافتقار إلى تليفونات.

النظام غير الأخلاقي الذي وضعه يزيد في مجالات السياسة والحرب ظل في جوهره ثابتا وتناقله المسلمون على مر العصور وكأنها شريعة مقدسة وجزء من الدين.

رغم مخالفة ذلك تماما لأحكام الشريعة ولكن الشرع صار منذ يزيد هو وما يقوله الحاكم وما يوافق عليه علماء البلاط ونجوم الإفتاء وشيوخ الإسلام الذين صنعته أموال الطاغوت الحاكم .

## معادلة حكم عربي جاهلي بديل عن الإسلام.

1- سيوف القبيلة المرتدة. 2- كذاب يدعى المجيء بدين خاص.

قبل ان نترك الحديث عن الفوائد التي جناها الكفار من حروب الردة نقول ما يلي:

أن المرتدين الذين قاتلهم أبوبكر الصديق(رضي الله عنه) كانوا يطبقون بسيفهم ودمائهم ما صاغه الخليفة يزيد ابن معاوية في شعره وتطبيقاته العملية في الحكم والتي جاء فيها (لعبت هاشم بالملك فلا أمر جاء ولا مَلِكٌ نزل).

فهو يرى أن شريعة الإسلام لم تنزل أصلا ولكنها خدعة من بني هاشم للوصول إلى الحكم .

لأجل هذا سعت كل قبيلة تجد في نفسها القدرة والطموح فأخرجت نبي كذاب من بين صفوفها يدعي النبوة والوحي ورسالة مبتكرة جاءت من السماء لتطبقها القبيلة بحد السيف علي غيرها من القبائل لتمتلكها وتصبح لها السيادة علي العرب في جزيرتها .

### آل سعود وابن عبد الوهاب نسخة بريطانية لتجربة الحكم العربي البديل عن الإسلام.

وهذا تطبيق حرفي لما قامت به قبيلة آل سعود التي طمعت في حكم جزيرة العرب بتشجيع من الإنجليز وأخرجت من بين صفوفها مدعي للنبوة ورسالة جديدة للتوحيد هو الشيخ محمد عبد الوهاب صاحب الدعوة الشهيرة التي فتكت بالمسلمين ومازالت لأكثر من ثلاث قرون.

وتجمعت عناصر القبيلة بزعامتها الطموحة والمتبني الدجال صاحب التوحيد الخالص حسب وصفه والذي يصب في جوهره على قطع علاقة المسلمين بالإسلام وطمس التاريخ الإسلامي كما يحدث الآن بإزاحة كل الرموز الإسلامية بدعوى أنها تدعو إلى الشرك حتى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ظلوا يحاربونه منذ ظهور حركتهم وحتى الآن في دولتهم الأولى والثانية والثالثة.

حتي باتت مشكوكا إذا كان القبر الرسول موجودا أم أزيل فهو محاطا بمجموعة من الجدران التي تحجبه عن المسلمين وتمنعهم عن رؤية القبر بدعوى أنهم قد يلمسونه فيصيبهم الشرك والعياذ بالله .

ونتيجة حربهم المسعورة علي الإسلام منذ نشأتهم تراجع الإسلام في جزيرة العرب وعموم بلاد المسلمين .

حتي أصبحت جزيرة أكبر بؤرة فساد في العالم بما تحويه من مراكز للفجور .

وكان ذلك تطورا طبيعيا وكان ذلك مستهدفاً منذ البداية لأن التطرف في إظهار التوحيد كان يبطن الكفر بالشريعة نفسها فالعداء للرسول والعداء لله والعداء لآل بيت الرسول هو عداء لله وعداء للرسول.

وقد وصلوا في عدواتهم إلى منتهاها وبالتالي وصل الكفر إلى منتهاه كما نشاهد الآن في بلاد الحرمين الشريفين.

أما الجهة الخارجية التي ساندت آل سعود فهي قائدة المعسكر الصليبي في ذلك الوقت وهي بريطانيا العظمي التي دعمت مسلمة الكذاب والمرتدين الجدد حتي أقاموا دولتهم كأحد الخطوات التدريجية لهدم علي الإمبراطورية العثمانية واقتسام أراضيها واحتلال بلاد العرب وإقامة دولة لليهود في فلسطين بالاتفاق مع نظام الردة السعودي .

فكان الدعم البريطاني لآل سعود والرسالة الوهابية المزيفة أشد وضوحاً من التدخل البيزنطي لدعم المرتدين في زمن أبوبكر الصديق .

## الدولة الطولونية في مصر

### (زفاف قطر الندى ونهاية الدولة الطولونية وحرب مع العباسيين)

احرق العباسيون القطائع عاصمة مصر. وانتقموا من المصريين انتقاما فظيحا بسبب حبهم للطولونيين (السنة).

### قطر الندى

هي أسماء ابنة خمارويه ابن احمد ابن (طولون) مؤسس الدولة الطولونية، والذي كان مملوكا تركيا ، وصل الى بلاط الخلافة في بغداد في عهد المأمون وكان رئيسا لحرس الخليفة ، وعندما توفي طولون عادت زوجته مع ابنها أحمد الى مصر ، حيث خدمته الظروف ، فتزوجت والدته من ( باك باك ) والى مصر التركي الذي كان كعادة حكام الأقاليم في نهاية حكم العباسيين يستقر الى جانب الخليفة في بغداد خوفا من أن يدس له ويفقد مكانته ولهذا كان يترك من يقوم بشأن البلاد نائبا عنه، وهذا ما تم مع أحمد ابن طولون ، حيث تركه زوج امه ( باك باك ) في مصر ليقوم على شؤونها أثناء غيبته . وعندما قتل ( باك باك ) عين بدلا منه ( يار جوخ ) حما أحمد ابن طولون واليا على مصر ، فقام الوالي الجديد بما قام به الوالي القديم فترك مصر لأحمد ابن طولون ليقوم على شؤونها ، وسافر هو الى بغداد للمكوث بجوار الخليفة ، وبهذا استقرت الأمور لأحمد ابن طولون وسيطر على البلاد سيطرة تامة، وامتنع عن دفع الأموال للخليفة العباسي ، وتمكن بذلك من اقامة جيش قوى ودولة قوية فامتدت حدود دولته من برقه غربا حتى الشام شرقا ، وكانت الدولة الطولونية على قصر عهدها ، فهي لم تستمر سوى ثمانية وثلاثين عاما من ٢٥٤ حتى ٢٩٢ هجرية من أعظم الدول واغناها، فمدينة القطائع التي انشأها أحمد ابن طولون لتكون عاصمة الدولة بقي منها الى الان جامع العظيم اضافة الى ما بناه من قناطر وقصور دليل على قوة هذه الدولة وثراءها. ومن القصص التي تروى عن الجامع ، أنه عندما شرع في بنائه لم يجد لديه سوى عامود واحد، فشعر بأنه لن يستطيع بناء الجامع ، ولكن المهندس ( يوسف بن تورغوت ) اخبره أنه يستطيع أن يبني له الجامع بلا أعمده ، وبالفعل نجح في اتمام بناء الجامع، فسعد بذلك ابن طولون، وأجرى عليه نفقة طوال حياته، وأهداه خُلعا (ملابس فاخرة)، وخيول ، ومبلغ من المال، وفي النهاية طلب منه أن يسلم ، فرفض ، فأمر بقتله ؟. ومن الطرائف التي تروى عن عصره أنه بنى بيمارستان لعلاج المرضى من الفقراء بالمجان وكان يتفقده بنفسه ويشرف على المرضى الذين يتناولون الأغذية والأدوية مجانا وكان المريض لا يؤذن له بالخروج الا إذا تمكن من أكل فرخة كاملة ورغيف من الخبز كعلامة على تمام شفائه، وكان احمد ابن طولون ينفق على البيمارستان عن

سعة ووقف عليه أوقافا كثيرة. وكان يتفقد نفسه يوما كل أسبوع، فيطوف على خزائن الأدوية ويتفقد أعمال الأطباء، ويشرف على سائر المرضى، ويعمل على مواساتهم وإدخال السرور عليهم. توفي احمد ابن طولون عام ٨٨٥م ، فتولى اماره مصر ابنه ابو (الجيوش خماراويه) وكان حين ذاك في الحادية والعشرين من عمره، وعلى الرغم من كون الدولة الطولونية تنضوي تحت لواء الخلافة العباسية من الناحية الروحية الا ان المعارك بين جند الخلافة والدولة الطولونية على حدود الشام كانت معارك مستمرة يخوضها الطولونيون دفاعا عن استقلالهم ، وكان (خماراويه) يميل الى حياة الترف ومن آيات البذخ الصارخ في عهده ذلك القصر الذى بناه وكان يحتوى على مجلس سماه بيت الذهب، وجاء في خطط المقرئى أن هذا البيت ( طليت حيطانه كلها بالذهب وجعل فيه صورا في حيطانه بارزه من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتي تغنينه بأحسن تصوير وجعل على رؤوسهن الأكاليل من الذهب الخالص، فكان هذا البيت من أعجب مباني الدنيا ، كما احتوى القصر على بركة كبيرة من الزئبق وحدائق للطيور والأسود وكأننا أمام صورة من صور قصور ألف ليله وليلة). ثم كان زواج قطر الندى ابنة خماراويه صورة جلية لذلك البذخ الصارخ الذى عاشته وامتازت به الدولة الطولونية ، وكان خماراويه عندما تولى اماره مصر قد قرر ان يتبع سياسة السلام والمهادنة مع الدولة العباسية ، وعندما تولى الخليفة العباسى المعتضد الخلافة سنة ٨٩٢م انتهز خماراويه الفرصة وبعث سفيره الى بغداد ومعه الأموال والتحف والهدايا النفيسة وأوكل اليه مهمة أن يعرض على الخليفة المعتضد أن يزوج ولده وولى عهده المكتفي من الأميرة قطر الندى، فوافق الخليفة على العرض على أن يتزوج هو من الأميرة، التي كانت في الرابعة عشرة من عمرها ، وكانت ذات جمال أخذ، بينما كان الخليفة على مشارف الستين، وافق خماراويه على رغبة الخليفة وبدأ الاستعداد لتنفيذ الاتفاق، وبعد أن تمت الخطبة تم عقد معاهدة سلم وصداقة بين مصر والخلافة ، اعترف بمقتضاها الخليفة العباسى لخماراويه بولاية مصر والأراضي الملحقة بها من الفرات شرقا الى برقة غربا. قدم الخليفة العباسى لقطر الندى صداق قدره عشرة آلاف دينار ، وبالرغم من ضخامة هذا الصداق فى هذا العصر فانه لم يكن الا جزءا يسيرا مما انفق خماراويه على تجهيزها ، فقد أراد خماراويه أن ينافس الخلافة فى مظاهر غناها وبذخها ، فكانت تفاصيل ما أعد لها من نفائس مما لا يصدق عقل ، فمن ذلك أريكة من أربع قطع من الذهب وعليها قبه من ذهب مشبك ، فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ، ومائة هون من الذهب ، ويرى بعض المؤرخون أن الخليفة العباسى أراد بالزواج من الأميرة المصرية أن يفقر الدولة الطولونية، فقد كان يعلم ما يتسم به خماراويه من الاسراف والبذخ ، فكان إجمالي ما انفق على تجهيز الأميرة ٤٠٠ ألف دينار ، وهو مبلغ يضارع دخل دولة فى هذا الزمان، لم يقف هذا البذخ عند تجهيز الأميرة ، بل ان خماراويه عندما فرغ من اعداد الجهاز بدأ فى النظر فى أمر تلك الرحلة الشاقة التي ستسير فيها ابنته، من مصر الى بغداد، فقرر أن يحولها الى رحلة ممتعة، فأمر بأن يبني لقطر الندى على رأس كل محطة تنزل فيها بين مصر وبغداد قصرا وثيرا ، يفرش فيه كل ما تحتاج اليه، فتعلق فيه الستائر ، ويعد فيه كل ما يصلح لمثلها ، وكانت فى مسيرها من مصر الى بغداد على بعد المسافة وكأنها فى بيت أبيها خرجت قطر الندى بعد اتخاذ كل الاستعدادات للرحلة من مصر فى صحبة عمها شيبان وعمتها العباسة، وعدد من الكبراء والحاشية، ووصلت معها العباسة حتى حدود مصر الشرقية، فضربت خيامها ، وبنت قرية سميت باسمها (العباسة) وهى ماتزال قائمة حتى اليوم شمال شرق بلبيس. وصل ركب الأميرة الى بغداد وزفت الى الخليفة المعتضد فى حفلات بازخة عاشت فيها بغداد أيام من المرح والبهاء قال فيها على ابن العباس الرومى:

يا سيد العرب الذي زفت له

باليمن والبركات سيدة العجم شمس الضحى زفت الى بدر الدجى

فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم لم تمضي أشهر قلائل على زفاف قطر الندى في قصر بغداد، وبعد خمس سنوات فقط من زواجها توفيت ودفنت داخل قصر الرصافة في بغداد وكانت وقتها في الثانية والعشرين من عمرها وعاش الخليفة المعتضد بعد ذلك عامين.

وهكذا قدم خماراويه ابنته الأثيرة لدية قطر الندى عربونا لاتفاق مع الخليفة العباسي يشتري به سلام واستقرار مملكته فأكل هذا الاتفاق كل ما في خزينة مصر من أموال، كما كان اخر مسمار يدق في جسد الدولة الطولونية ويجهز عليها، فهذه الدولة لم تعش بعد زواج قطر الندى أكثر من عشر سنوات حيث تمكن العباسيون بسبب ما آلت اليه أحوال مصر من فقر وعوز بسبب هذا الانفاق الباهظ من الهجوم على مصر وحرق القطائع العاصمة، كما ارتكبوا في حق المصريين أكبر الفظائع، لعلمهم بمدى حب المصريين للطولونيين. وهكذا انتهت الدولة الطولونية تلك النهاية المأساوية على الرغم من أنها كانت من أفضل ما شهدت مصر الاسلامية من عصور الدعة والرخاء.

**تعليق:** أحرق العباسيون القطائع عاصمة مصر. وانتقموا من المصريين إنتقاما فظيعا بسبب حبهم لإنسانية الطولونيين (السنة). وانتقم منهم صلاح الدين بسبب تعلقهم بعدالة الفاطميين (الشيعة). فإلى أين يهرب المصريون من مدرسة يزيد، حتى يجدوا العدالة في دولة إسلامية حقيقية؟؟

### عن مجموعة معزوفات تاريخية للدكتورة " ثناء حامد

المراجع:

(ج ١) تاريخ الحضارة المصرية العصر اليوناني الروماني والإسلامي اصدار وزارة الثقافة والارشاد القومي تأليف امين الخولى . محمد مصطفى زيادة . حسين مؤنس . جمال الدين الشيال ٢ تراجم اسلاميه . محمد جبر زياد.

### في مصر الفاطمية

سيدة فاطمية من المغرب حكمت مصر:

**ست الملك.. ست الكل.. السلطانة**

**عاقبت أخيها بالقتل لتجاوزه الحدود مع المصريين**

قامت في شمال أفريقيا حركة شيعية تنتسب الى فاطمة بنت النبي وأسفر ذلك عن قيام الدولة الفاطمية بالمغرب سنة ٢٩٦ هجرية ٩٠٩ م وكان (عبيد الله المهدي) وهو من سلالة على ابن ابي طالب رضى الله عنه، أول حكام الدولة الفاطمية في المغرب والتي امتدت لتشمل تونس والجزائر والمغرب. وفى سنة ٩٦٩م - ٣٥٨ هجرية، جمع (المعز لدين الله) الفاطمي وهو أحد ابناء (عبيد الله المهدي) نحو مائة ألف فارس ، أغلبهم من قبائل البربر (كتامه و زويل) من المغاربة ، وبعد أن استعرض، هذا الجيش الجرار، قدم لهم (جوهر الصقلى) ، القائد الذى سيقودهم لفتح مصر ، والذى منحه المعز تفويضا كاملا بسلطاته العسكرية والسياسية ، والمالية ، وعندما وصل جوهر الصقلى الى مصر لم يواجه مقاومة حقيقية ، الا من بعض فلول الإخشيديين، وكان الفاطميون عند حضورهم الى مصر يحيط بنسبهم الريب والشكوك وقد أثيرت

هذه المسألة عند قدوم المعز ، إذ اجتمع به جماعة من الأشراف العلويين الذين ينتسبون الى علي وفاطمة ، فسأله الشريف ( عبد الله بن طبا طبا ) عن نسبه ، فأجاب المعز أنه سوف يعقد مجلسا ويتلو عليهم نسبه، ثم عقد المجلس في القصر، ودعا اليه الكبراء، وسل نصف سيفه من غمده، وقال هذا نسبي، ثم نثر عليهم ذهباً كثيراً ، وقال ، وهذا حسبي ، فقالوا جميعاً سمعنا وأطعنا، وكانت جيوش المعز قد فتحت الشام كما فتحت مصر، فأصبحت مملكة الفاطميين تمتد من أواسط المغرب الى شمال الشام والحجاز ، واليمن. حكم جوهر الصقلي مصر لمدة أربع سنوات نيابة عن المعز ، وكان أول عمل قام به القائد جوهر هو انشاء مدينه جديدة بناء على توجيهات المعز لدين الله، حتى تكون عاصمة للخلافة الفاطمية، فكانت القاهرة كما قام جوهر الصقلي فور دخوله الى مصر بمنح المصريين الأمان، في وثيقة كتبها بخط بيده ، تعهد فيها بترك الحرية الدينية للمصريين ، وأن يجرى الاذان والصلاة وصيام رمضان والزكاة والحج، على أمر الله وكتابه، كما استطاع جوهر الصقلي خلال هذه السنوات الاربع أن يجرى كل التغييرات اللازمة لانتقال السيادة للفاطميين، فقد أوقف الخطبة للعباسيين من على منابر مصر، وحذف اسمهم من على السكّة (النقود المعدنية)، وأحل اسم الخليفة المعز محلهم، وأزال السواد شعار العباسيين، وألبس الخطباء في الجوامع الثياب البيض، ولما كانت مصر عند قدوم الفاطميين تمر بأخطر أزمه اقتصاديه عرفتها منذ أكثر من قرن من الزمان، فقد اهتم جوهر الصقلي **بالقضاء على المجاعة ، واستتباب النظام** ، كما نادى **بمنع البراطيل (الرشاوى)** ، وعندما أصبحت الظروف مهيأة لاستقبال المعز لدين الله في القاهرة العاصمة الجديدة للخلافة ، كتب جوهر الى المعز يدعوه للحضور الى مصر ، فنقل المعز معه عند قدومه الى مصر كل أمواله، وحتى توابيت آباءه حملها معه، تاركا شمال أفريقيا التي استخلف عليها أسرة بربريه ، هي أسرة ( بنى زيري )، كما استخلف على صقلية أسرة تنتمي الى قبيلة ( بنى كلب ) ، أما طرابلس فقد استخلف عليها عبد الله بن يخلف ( الكتامي - ولاية العزيز ( ابو منصور نزار). عند وفاة المعز خلفه ولده العزيز ( أبو منصور نزار) ، الذي لبث في الخلافة احدى وعشرين سنه، وكان العزيز يميل الى الاعتماد على اليهود والاقباط، وكان الوزير (أبو الفرج يعقوب بن كلس ) أول وزراء الدولة الفاطمية في مصر وأعظمهم شأنًا ، وكان يهوديا أسلم في عهد كافور الإخشيدي ، وكان (ابن كلس) قد اتصل بالمعز قبل فتحه لمصر ، وعاونه في تدبير الفتح ، وكان وزيرا للمعز ثم لابنه العزيز لمدة اثنتي عشر عاما، وهكذا استأثر الوزراء والكتاب من الأقباط واليهود بمعظم أعمال الدولة ، مما أثار السخط بين الناس، فانقلب العزيز علي كتابه ووزرائه وطاردهم وقام بتغريمهم أموالا طائلة، وقبض على الكثيرين منهم ولكنه عاد وأفرج عنهم بتأثير من ابنته (ست الملك) وزوجته التي كانت جارية رومية قبطية، وكان لها أثر كبير في سياسته ، كما كان لها أعظم الأثر في تربية ست الملك، وكان لهذه الزوجة اخوان هما (أرسانيوس) و (أرسطيس) ، وقام العزيز بتعيين (أرسانيوس) مطرنا، ثم بطريقا للطائفة الملكية بالإسكندرية، أما (أرسطيس)، فقد عينه بطريقا لبيت المقدس للطائفة الملكية، وكان لهما أثرا كبيرا في البلاط الفاطمي، وكان من أثر هذا النفوذ أن طبعت سياسة العزيز نحو الأقباط بطابع الاعتدال والعطف ، فقوى نفوذهم في عهده ، وكان العزيز يحب ست الملك حبا جما ، فلما كبرت أصبحت موضع ثقته ، يستشيرها في كثير من الأمور، فقد كانت معروفة بالعقل والحزم ، وحسن التدبير ، وكانت تسمى أحيانا (ست الكل) وتعتت بالسلطانة. ( تولية الحاكم بأمر الله عم الاضطراب بلاد الشام فقرر العزيز السير بنفسه الى هناك فخرج بجيشه الى(بلبيس) ، ولكن المرض اشتد عليه فجأة ، فتوفى في سبتمبر ٩٩٦م فخلفه ولي عهده (أبو علي منصور) ولقب بالحاكم بأمر الله ، وبويع بالخلافة في(بلبيس) ، وكان العزيز جوادا كريما ، عفوفا عن سفك الدماء وفي عهده اتسع نطاق الدعوة الفاطمية اتساعا عظيما ، ودعي **للخليفة الفاطمي في الموصل واليمن**، وكان العزيز قد أوصى بولده ثلاثة من اكابر رجال الدولة وهم (برجوان) الصقلي، خادمه وكبير خزائنه، و(الحسن بن عمار) الكتامي، زعيم كتامه أقوى القبائل المغربية

وعماد الدولة الفاطمية منذ نشأتها، و(محمد بن النعمان) قاضى القضاة، وكان الحاكم قد تولى الخلافة حدثا دون الثانية عشرة من العمر، بينما كانت شقيقته ست الملك قد بلغت السادسة والعشرين من عمرها .

## حكاية ست الملك

عقب وفاة ابيها العزيز كانت ست الملك تتمتع بنفوذها ومكانتها في البلاط ، وكانت تمد الحاكم بالنصائح كلما شهدت عنفه وشذوذه ، ولكن الحاكم تبرم من نصحتها ، فبدأت بوادر الخلاف تستحکم فيما بينهما ، وعندما شعرت ست الملك بتقلص نفوذها في البلاط، لجأت الى حياة العزلة، وأقامت في القصر الصغير، ويقع في مواجهة القصر الكبير وهو قصر الخلافة ويفصل بينهما الميدان الكبير المسمى (بين القصرين) أما برجوان الذى تولى إدارة شؤون الدولة ، فقد تشاغل بلذاته، وأقبل على سماع الغناء ، وكان يقرر ما يراه في كل الأمور بغير ان يشاور الحاكم، فلما تزايد استبداده، نقم عليه الحاكم لعدم امثاله لأوامره، واذلاله له، ذلك أنه استدعاه يوما فدخل عليه راكبا حصانه، وتقدم اليه، وقد ثنى رجله على عنق فرسه، وصار باطن قدمه وبه الخف (الحذاء) قبالة وجه الحاكم، فنقم عليه الحاكم نقمة شديدة . كما كان برجوان اذا ركب فرسه لا ينظر الا الى السماء ولا يلتفت الى البشر، فدبر الحاكم لقتله في سنة ٩٩٩م، وبدأ من هنا عهد من أغرب العهود التي مرت على مصر وأكثرها اضطرابا، فعاشت مصر قرابة ربع قرن تحت ظل الحاكم بأمر الله ، شهدت فيهم ألوانا من التناقضات وسفك الدماء ، فكان يحرم الأطعمة ثم يبيحها، ويجعل الليل مسرحا للنشاط والعمل بدلا من النهار، ويحظر التبرج على النساء، ثم يمنعهن من الخروج، ويأمر بمطاردة الاقباط واليهود ، ثم يعود ويعفوا عنهم، ويأمر بهدم الكنائس، ثم يعود فيسمح بإعادة بنائها، ويأمر بقتل الكلاب، ثم يمعن في قتل وزرائه، وكتابه الواحد بعد الآخر، ويقتل رؤساء العشائر ذوى النفوذ ، وهكذا اضطربت في عهده أمور الدولة، وضعفت، وهددتها الأخطار الخارجية، واضطربت أحوال الناس، وهبت على المجتمع المصري ريح من الارهاب والتوجس، وعندما استأثر الحاكم بالسلطة، واندفع في تيار العنف ، وأسرف في القتل كانت ست الملك تسدى اليه النصيح ، وتبصره بعاقبة ما يفعل، وكان الحاكم يحقد عليها ولا يأبه بنصحتها، ويأخذ عليها تدخلها في شؤون الدولة، ويتهمها بسوء السلوك ، والتورط في الفضائح الغرامية ، ويهددها بإرسال القابلة لها للكشف عليها ، وكانت ست الملك في هذه الفترة قد تجاوزت الخمسين من العمر. وفي يوم الاثنين ١٣ فبراير سنة ١٠٢١م خرج الحاكم كعادته للطواف بجبل المقطم ، ورصد النجوم ، وخرج من القاهرة بصحبة شخصين فقط، وتوغل في شعاب المقطم ، وهنا اختفى الحاكم بأمر الله ، ولم يعثر له على جثة، ولم يعرف ما حل به على وجه اليقين، فكل ما وجدوه هو حماره وقد قطعت ساقاه الأماميتان، وقيل أنهم عثروا على ثيابه في قاع البركة وبها أثر للطعان، وقد نسجت في اختفاء الحاكم الأساطير، فقيل انه ارتفع الى السماء وسوف يعود في آخر الزمان، وقيل أنه توارى في الصحراء ، وتنصر وترهب حتى توفي ، والمؤكد ان الحاكم قد قتل، ومعظم الروايات تنسب قتل الحاكم لأخته ست الملك، فقد جزعت من سياساته المتضاربة، وكانت كثيرا ما تقاومه ولكنها عندما عجزت، قررت التدبير لقتله. فلجأت الى زعيم كتامه في تلك الفترة والتي كانت من أقوى القبائل المغربية ، لكن الحاكم اضطهادها وسلبها نفوذها، وكان زعيمها(الحسين بن دواس) الذى كان من اكثر الناس كرها للحاكم ، فاتصلت به ست الملك وأوضحت له ان السبيل الوحيد للقضاء على الفوضى المنتشرة في البلاد هو التخلص من الحاكم بقتله، فوافق بن دواس على مشاركة ست الملك في قتل الحاكم ، وأخذت عليه الأميرة وعدا بالكتمان، ووعدته بأن يكون مدبر الدولة، وصاحب الكلمة العليا فيها بعد التخلص من الحاكم، ورتب الحسين خطته، ولجأ الى عبيدين من أخلص عبيده لتنفيذها ، فوهبتهم ست الملك مالا وخيلا، واتفق على أن يكون التنفيذ في اليوم التالي، وبالفعل في مساء الاثنين ٢٧ شوال سنة ١٠٢١م خرج الحاكم راكبا حماره الى الجبل لرصد

النجوم كعادته، وقرب الفجر خرج العبدین من مكنهما وانقضا على الحاکم وقتلاه، وقتل الرکابی (الحمار)، وقطعا قوائم الحمار وحملا جثة الحاکم الى سيدهما، الذى حملها بدوره الى ست الملك، التي دفنته في نفس مجلسها، وبعد أن تأكدت من طاعة القبائل، قامت بتدبير تنصيب ابن أخيها ، (أبى الحسن الظاهر) ، مكانه في كرسي الخلافة، ثم قامت بتدبير قتل كل من علموا بسر مقتل الحاکم، فقتل الوزير (خطير الملك) ، و(الحسن بن دواس)، وتمت هذه المقتلة بسرعة وصرامه ، واضطرب الناس بعد غيبة الحاکم، فقالت لهم ست الملك أن الحاکم أخبره أنه سوف يغيب سبعة أيام، وأنه يبعث لها بأوامر، ورتبت رسلا يظهرهم بمظهر انهم يذهبون الى الحاکم، ويعودون منه اليها، وفي ذلك الوقت اشتدت شوكتها، وكف الناس عن السؤال عن الحاکم وعندما تولى الخليفة (الظاهر الاعزاز دين الله )، مكان أبیه الحاکم ، وكان فتى لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره، قام (بن دواس) وقال لمن حضر من أهل الدولة. تقول لكم مولاتنا هذا مولاكم وقبل له (ابن دواس) الارض، وبايعه الناس وتولت ست الملك تدبير أمور الدولة، وقام الخليفة الجديد بهدى من نصائح ست الملك بإلغاء المراسيم الشاذة، وتهذئة الخواطر وأباح الكثير مما منعه أبوه ، وعاد لسياسة التسامح نحو الاقباط واليهود ، وبذلك شهدت مصر عهدا جديدا من الأمن والسكينة، وبذلت ست الملك جهودا جباره لتوطيد أركان الدولة ، وعندما علمت أن والى حلب ينوى اعلان العصيان، لجأت الى الحيلة، فأرسلت اليه أموالا، ودست عليه غلامه ( بدر) لقتله، وبالفعل، نفذ بدر الجريمة، مستعينا ببعض غلمان الوالى، وتولى بدر حكم حلب، وأقرته ست الملك على ولايته، أما بالنسبة للشؤون الخارجية، فقد اوفدت ست الملك سفيرا الى قيصر القسطنطينية ليعمل على عقد الصداقة بين مصر والدولة البيزنطية، ولطمأنة بلاط القسطنطينية على مصير المسيحيين في مصر وعلى حماية ارواحهم وأموالهم و كنائسهم ، وهكذا ظلت ست الملك ولمدة ثلاث سنوات بعد مصرع الحاکم توجه شؤون الحكم بقدره فائقة ، الى أن توفيت في الخامسة والخمسين من العمر ، تاركة لنا سيره تضاهاى سيرة شجرة الدر، وأن اختلفت عنها في كونها لم تجلس على عرش مصر ، بل دبرت شؤون البلاد بقوة وجسارة ولكن من وراء حجاب. منقول عن مجموعة معزوفات تاريخية. للدكتورة ثناء حامد

**تعليق:** اسمها الرسمي في القصر كان (ست الملك). واسمها في قلوب محبيها المصريين وبيوت فقراء القاهرة (ست الكل) و (السلطانة). فمن يلوم المصريين في حب تلك، السيدة الزينية.. السلطانة .. ست الكل ... التي دافعت بقوة/مجازفة بحياتها ومكانتها/ عن حقوقهم من داخل قصر الخلافة الفاطمية . وقضت على نوازع الاستبداد في الحكم.

نشر في تاريخ 2024/07/25

موقع مافا السياسي

WWW.MAFA.WORLD